آداب العالم والمتعلم

فيما يحتاج إليه المتعلم في أحوال تعلمه
وما يتوقف عليه المعلم في مقامات تعليمه

تأليف
حضرة الشيخ محمد هاشم أشعري الجنباني
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه أمين

طبعة جديدة محققة مصححة

مكتبة تبوئريج للتراث

التقاريظ

وهذه صورة التقاريظ حين اطلع على هذا الكتاب المستطاب العلماء الفضلاء من أهل مكة المكرمة النازلون إلى «جاوا قرشي» بسبب الكارثة العظيمة التي في الحجاز على جيران بيت الله الحرام من أولئك القوم الوهابين:

[تقريظ الشيخ سعيد بن محمد اليماني]

الحمد لله وحده، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد، فقد قرأت مواضع من هذه الرسالة البديعة فألفيتها من خير ما يهدي للعلماء والطلاب في هذا الباب، جزى الله مؤلفها خير الجزاء وأكثر في العلماء من أمثاله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمر برقمه المرتجي من الله في الخيرات نيل الأماني

سعيد بن محمد اليماني

خادم العلم بالمسجد الحرام وأحد الأئمة الشافعية بالمقام

[تقريظ الشيخ عبد الحميد سنبل حديدي]

الحمد لله حمدا يحظينا بالمزيد من نعمه على ممر الأيام، ويؤهلنا من إحسانه لما أعده للمخلصين على الدوام، ويقيمنا بإرشاده عن عوج الغي ومناده، ويعصمنا بسداده من سطوة الشيطان وعناده.

والصلاة والسلام على من رفع منار العلم وزينه بالآداب، وشاد صرح الحق لأهل الفضل والرتب، وجاهد في الله حق جهاده، وبذل كلمته غاية استعداده، حتى تلألأ نير الإسلام في أفق الإرشاد، وظهر دين الله واضحا على أديان الأضداد، محمد عبدك وخاتم رسلك، وعلى آله و أزواجه وأصحابه أنصار الدين، وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد اطلعت على الكتاب المسمى بـ«آداب العالم والمتعلم»، للعلم العلامة والنحرير الفهامة الشيخ: محمد هاشم بن محمد أشعري الجنباني من علماء جزيرة جاوا، المشهور فيها وفي غيرها من الجزر الإسلامية بالورع والتقوى.

فرأيته سفرا موجزا جذّابا أديبا، فقد جاء من جوانب تلك النفس الفاضلة الراضية المرضية، لبنا سائغا للشاربين، ولا تثريب علي إن قلت إن الكتاب لطلاوة لفظه وحسن أسلوبه يستفيد منه المتعلم بدون إرشاد، ولايستغني عنه العالم لما جمعه بين دفتيه

من جواهر الآدب، فلا غرابة بعد هذا إن ارتفعت مدارك هذا الشيخ الجليل العظيم، وفاق بفصيح اللغة العربية وكبر النفس معاصريه من العلماء والفضلاء، فأصبحوا كلهم يستمدون من فيضان علمه وسجال آدابه، ويتتطفلون على موائد عرفانه، ويردون مناهل فنونه، فكأنه مثلهم جميعا في شخصه، وحصر عقولهم في عقله، فصار الفرد الواحد ومفرد العلم؛

لأن مواضع هذا الكتاب النفيس المرتب ترتيبا جديدا واضحا أسست مبينة على أصل ثابت لغاية العلماء، وإنه لخير مختصر جمع فأوعى، وحتما أن يكون من ورائه فائدة كبيرة تعود على العالم والمتعلم بالإصلاح والنفع العميم. كيف لا؟ والمؤلف سهل سبيل البحث عن آدابه، وجمع شوارده وأسراره، وحشد جميع مصوناته في حيز يلّم به النظر بلا تكلف، وإنا لنطمع من فوق ذلك أن ينفحنا الله برضوانه، ويهيئنا لمراضيه وإحسانه، إنه ولي الكفاية ومولى الأمانة.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين آمين.

حرره خادم العلم بالمسجد الحرام وأحد الأئمة

الحنفية بالمقام

الراجي عفو ربه المديد

عبد الحميد سنبل حديدي

[تقريظ الشيخ حسن بن سعيد اليماني]

أحمدك اللهم يامن اطلعت في سماء الوجود من أفضت علينا برسالته نعما سابغة وملئت بالعرفان قلوبا كانت منه فارغة حبيبك محمد بن عبد الله الذي نسخ ظلمات الجهالات. وهدى إلى طريق الحق فعليه من أفضل صلواتك، وأزكي تسليماتك ما يليق بمقامه العظيم وعلى آله وأصحابه الذين هم في الدين قدوتنا، وفي المعالم أئمتنا بهم اقتدينا وبالسعي خلفهم اهتدينا فالمتمسك بهديهم متمسك بالعروة الوثقى، والمتأدب بآدابهم لا يضل ولا يشقى، ضاعف الله أجورهم وجعل في فراديس الجنان أنسهم وسرورهم، آمين.

وبعد، فقد سرحت الطرف في رياض هذا الرحيق المحتوم، المسمى بـ«آداب العالم والمتعلم» لمؤلفه العلامة العامل، أوحد الفضلاء أكمل النبلاء، مرشد السالكين إلى أقوم طريق، ومربي الطلبة بدقائق أسرار التوفيق السائر ذكره الجميل في هذه القطر مسير المثل السائر، المحي بتدريسه للعلوم آثار ما انمحى من دروس الرسوم الشيخ الوقور الحاج: محمد هاشم بن محمد أشعري الجنباني.

فألفيته قد اطردت من منبع البلاغة أنهاره، وغردت بألسن الفصاحة أطياره، وزها ورده، وحلا ورده وراقت غضارته وشاقت

نضارته، وملئت بأدلة الشريعة خضر أوراقه، نفع الله به العلماء والمتعلمين، وأثاب مؤلفه خير الجزاء يوم الدين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه

خويدم طلبة العلم بالمسجد الحرام

حسن بن سعيد اليماني

عامله مولاه بلطفه الداني

[تقريظ الشيخ محمد علي بن السعيد اليماني]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد. فقد جولت نظري في رياض هذا المؤلف الجليل، المسمى بـ«آداب العالم والمتعلم»، لمؤلفه العلامة المدفق والبحاثة المحقق مولانا الوالد كياهي: محمد هاشم بن أشعري الجنباني.

فألفيت درر الآداب الإسلامية يتلألأ من خلال أسطره تلألؤ الكواكب في علياء السماء، وطراز ألفاظ معانيه منظمة انتظام العقد المنضد في جيد الحسناء، فطوبى للعلم ودويه بهذا التأليف البديع، الذي حوت آياته محكمات المعاني.

وجدير بهم أن يتسابقوا إلى هذا المنهل العذب، ليتروي منه عالمهم، ويتغذي من لبانه الطالب، وحق لهم أن يتباهوا بهذا العمل الوحيد لهذا المؤلف القدير الذي نقل لهم بجودة فكره وبراعة قلمه مشاعر النفس ومشاهد الحس إلى الحس، فكان بذلك كاتبا صانعا، متع الله به الأنام، وجعله بركة ورحمة في الأيام.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه أحقر الورى المرتجي من مولاه لطفه الخفي عبده الفقير محمد علي بن السعيد اليماني

التعريف بالمؤلف

* اسمه ونسبه:

هو محمد هاشم بن أشعري بن عبد الواحد بن عبد الحليم الملقب بـ«فاعيران بناوا» بن عبد الرحمن الملقب بـ«جاكا تيعكبر سلطان هادى ويجايا» بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الفتاح بن مولانا إسحاق: والد رادين عين اليقين المشهور بـ«سونن كيري» التبوإيرنجي الجنباني.

* مولده ونشأته العلمية:

ولد في كدانج، قرية في شمال مدينة جونبانج يوم الثلاثاء ٣٤ ذو القعدة ١٢٨٧ من سني الهجرة. نشأ وتربى في حجر والده أحسن تربية، وقرأ عليه القرآن وجملة من الكتب الدينية إلى أن كمل رشده.

ثم رحل في طلب العلم إلى أشهر المعاهد الإسلامية في بلاد جاواه، منها: معهد «صانا»، ومعهد «سيوالن» كلاهما في سيداهرجا، ومعهد «لانجيتان» توبان، ثم انتقل إلى معهد «بعكالن» في جزيرة مدوراه، ولازم فيه صاحب الكرامة الشيخ خليل ولي الله.

ثم هاجر إلى الديار المكية والمشاعر الحرمية، فأقام بها عدة

سنوات، وقرأ على أكابر العلماء فيها، فقرأ على الشيخ محمد نووي البنتني، والشيخ خطيب المنكاباوي، والشيخ شعيب بن عبد الرحمن أنواع الفنون، وقرأ على السيد عباس المالكي الحسني كتبَ الأحاديث النبوية، ثم قرأ على الشيخ محفوظ بن عبد الله الترمسي العلوم الشرعية والألات الأدبية والأعمال الحديثية حتى كثيرا من المعقول والمنقول، ثم رجع إلى بلده فحقق وألّف ودفق وصنف.

* أعماله الخيرية وحركاته الاجتماعية:

بعد أن رجع من بلد الله الحرام بنى معهدًا إسلاميا «تبوإيرنج» جومبانج. وذلك في ٢٦ ربيع الأول ١٣١٧، ثم أضاف اليه مدرسة «سلفية شافعية»، وولى التدريس والتعليم فيهما، فاجتمع عليه أناس يستمدون من فيضان علمه وسحال أدبه ويريدون على موائد عرفانه ومناهل فنونه.

وفي ١٦ رجب ١٣٤٤، أسس «جمعية نهضة العلماء» مع أصحابه، منهم: الشيخ عبد الوهب حسب الله، والشيخ بصرى شنسورى وغيرهما من أكابر العلماء جاواه، وهذه الجمعية جمعية دينية اجتماعية تحث المسلمين على أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، وتجتنبوا الضلالة والبدعة، وتحرضهم على الجهاد لإعلاء كلمة الله.

فمعهد «تبوإيرنج» جومبانج وجمعية «نهضة العلماء» هما أثران عظيمان من آثاره الخيرية.

* علمه وتأليفه:

لا شك أنه قد حاز من العلوم أوفرها ونال من الفنون أكثرها حتى صار قدوة لعلماء عصره ومن بعدهم إلى الآن.

فمن سعة علمه ودقة فهمه ظهرت تآليف مفيدة وتصانيف عديدة منها:

١- «آداب العالم والمتعلم» فيما يحتاج اليه المتعلم في أحوال تعلمه وما يتوقف عليه المعلم في مقامة تعليمه.

٢- «زيادة تعليقات»، رد فيها منظومة الشيخ عبد الله بن ياسين الفاسورواني التى يهجو بها على أهل جمعية نهضة العلماء.

٣- «التنبهات الواجبات» لمن يصنع المولد المنكرات.

٤- «الرسالة الجامعة»، صرح فيها أحوال الموتى وأشراط الساعة مع بيان مفهوم السنة والبدعة.

٥- «النور المبين في محبة سيد المرسلين»، بين فيه معنى المحبة لرسول الله وما يتعلق بها من أتباعه وإحياء سنته.

٦- «حاشية على فتح الرحمن بشرح رسالة الولي رِسْلَان» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

٧- «الدرر المنتشرة في المسائل التسع عشرة»، صرح فيها مسألة الطريقة الولاية وما يتعلق بهما من الأمور المهملة لأهل الطريقة.

٨- «التبيان في النهى عن مقاطعة الإخوان»، بين فيه أهمية صلة الرحم وضرر قطعها.

٩- «الرسالة التوحيدية»، وهى رسالة صغيرة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

١٠-«القلائد في بيان ما يجب من العقائد».

وغير ذلك كثير، كل ذلك في غاية الحسن والجادة متكفلا لطالعيه بالاستفادة.

* وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ٧ رمضان ١٣٦٦ من هجرة سيد ولد عدنان ﷺ في منزله تبوإيرنج جومبانج ودفن في المعهد الذى بناه، فجزاه الله عن المسلمين خيرا نفع بعلومه واسكنه فراديس جنانه. آمين.

كتبه سبط المؤلف: محمد عصام حاذق، في «١ صفر ١٤١٥هـ».

آداب العالم والمتعلم

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلاتُه وسلامُه على سيِّدِنا محمَّدٍ أشرفِ المرسلينَ، وخاتَم النَّبيِّينَ، وعلى آله الطَّيِّبينَ، وأصحابه الطَّاهرينَ أجمعينَ،

أمَّا بعدُ.

فقد روي عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسولِ الله ﷺ قال: «حقُّ الوَلَدِ على والِدِه: أَنْ يُحسِنَ اسْمَه، ويحسنَ مُرضِعَه، ويحسنَ آدابَه»[1].

وعنِ ابْنِ سِيْرِيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانوا يتعلَّمونَ الهُدَى[2] كما

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» برقم ٨٣٠٠ من حديث سيدتنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) والهدى يطلق على التوحيد والتقديس، ويطلق على ما لايعرف إلا بلسان الأنبياء من الفعل والترك ثم أنه يطلق على الكل ويطلق على الجزء. اهـ «كليات».

قوله «الهُدَى» كذا في ضبط النسخة، لعله الهَدْي كما دل عليه تمامه «قال – أي مالك بن أنس– وبعث ابن سيرين رجلا فنظر كيف هدي القاسم وحالَه». وفي النهاية «الهَدْيُ هي السيرة والهيئة والطريقة» اهـ وكذا في تحفة الباري. وفي المصباح والهدي مثل فلس: السيرة يقال ما أحسن هديه.

يتعلَّمونَ العلمَ»(١).

وعنِ الحسنِ البصْريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن كان الرَّجلُ ليَخْرُج في أَدَبِ نفْسِه السِّنينَ ثم السِّنينَ»(٢).

وعن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم هو الميزانُ الأكبرُ، وعليه تعرضُ الأشياءُ على خلُقِه وسيرتِه وهُدَاه(٣)، فما وافَقَها فهو الحقُّ، وماخالَفَها فهو الباطلُ»(٤).

وعن حبيب بن الشهيد قال لابنه: «اصحَبِ الفقهاءَ وتعلَّمْ منهم أدبَهم، فإن ذلك أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الحديثِ»(٥).

وقال رُوَيمٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا بنيَّ اجعلْ علمَك ملحًا، وأدبَك دقيقًا»(٦).

وقال ابنُ المباركِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نحن إلى قليلٍ من الآدابِ أحوجُ منَّا إلى كثيرٍ من العلمِ»(٧).

وقيل لإمامِنا الشَّافعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف شهوتُك للأدبِ؟، فقال:

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (برقم:٩)
(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (برقم:٨)
(٣) وفي تذكرة السامع والمتكلم «هديه».
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع برقم (٨)، تذكرة السامع والمتكلم (٣١-٣٢)
(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع برقم (١٠)
(٦) آداب المريد (٢٠)
(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع برقم (١١)

«أسمعُ بالحرفِ منه فتودُّ أعضائِي أنَّ لها أسماعًا تتنعَّمُ به». وقيلَ له: وكيفَ طلبُك له؟ قال: «طلبُ المرأةِ المضلَّةِ ولدَها وليس لها غيرُه»[١].

وقال بعضُهم: «التَّوحيدُ يوجبُ الإيمانَ، فمَنْ لا إيمانَ له لا توحيدَ له، والإيمانُ يوجبُ الشَّريعةَ، فمَنْ لا شريعةَ له لا إيمانَ له ولا توحيدَ له، والشَّريعةُ توجبُ الأدبَ، فمَنْ لا أدبَ له لا شريعةَ له ولا إيمانَ له ولا توحيدَ له»[٢].

فهذِه كلُّها نصوصٌ صريحةٌ، وأقوالٌ مؤيَّدةٌ بنورِ الإلهامِ مفصِّحةٌ بعلوِّ مكانةِ الأدبِ مصرِّحةٌ بأنَّ جميعَ الأعمالِ الدِّينيَّةِ قلبيَّةً كانتْ أو بدنيَّةً قوليَّةً أو فعليَّةً لا يعتبرُ شيءٌ منها إلا إن كان محفوفًا بالمحاسنِ الأدبيَّةِ والمحامدِ الصِّفاتيَّةِ والمكارمِ الخُلُقيَّةِ، وبأنَّ تحليةَ العملِ بالأدبِ عاجلًا علامةُ قبولِه آجلًا، وبأنَّ الأدبَ كما يحتاجُ إليه المتعلمُ في أحوالِ تعلُّمِه يتوقَّفُ عليه المعلِّمُ في مقاماتِ تعليمِه.

ولمَّا بلغتْ رُتبةُ الأدبِ إلى هذه المرتبةِ وكانتْ مُدارِكُ مفصَّلاتِه خفيَّةً، دعاني ما رأيتُ مِن احتياجِ الطَّلَبةِ إليه وعسرِ تكرارِ توقيفِهم عليه إلى جمع هذه الرِّسالةِ تذكرةً لنفسِي وللقاصرينَ من أبناءِ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم (٣٢)
(٢) الرسالة القشيرية:٣٣٦

جنسِي، وسمَّيتها «آدابَ العالمِ والمتعلمِ» نفعَ اللهُ بها في الحياةِ وبعدَ المماتِ، إنَّه وليُّ الحسناتِ.

الباب الأول

في فضلِ العلمِ والعلماءِ وفضلِ تعليمِه وتعلُّمِه

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، أي ويرفعُ العلماءَ منكم درجاتٍ بما جمعُوا من العلمِ والعملِ(١).

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «درجاتُ العلماءِ فوقَ المؤمنينَ بسبعِمائةِ درجةٍ، ما بينَ الدَّرجتينِ خمسُمائةِ عامٍ»(٢).

وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ....﴾ الآية [آل عمران: ١٨]. فبدأَ اللهُ تَعَالَىٰ بنفسِه وثنَّى بملائكتِه وثلَّثَ بأهلِ العلمِ، وناهيْك بهذا شرفًا وفضلًا وجلالةً ونبلا(٣).

وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة: ٧]، إلى قوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٢٥/١)

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٢٥/١). وذكره في احياء علوم الدين بلفظ «للعلماء درجات فوق المؤمنين»

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم:٣٧

رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ [البينة: ٨].

فاقتضَتِ الآيتانِ أنَّ العلماءَ همُ الَّذينَ يخشَوْن اللهَ تعالَى، والَّذينَ يخشَوْن اللهَ هم خيرُ البريَّةِ، فينتجُ أنَّ العلماءَ هم خيرُ البريَّةِ[١].

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ»[٢].

وقال ﷺ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»[٣].

وحسبُك بهذه الدرجةِ مجدًا وفخْرًا، وهذه الرُّتبةِ شرفًا وذكرًا، وإذا كان لا رتبةَ فوقَ النُّبوَّةِ، فلا شرفَ فوقَ شرفِ الوراثةِ لتلك الرُّتبةِ[٤].

وغايةُ العلمِ العملُ به؛ لأنَّه ثمَرتُه وفائدةُ العمرِ وزادُ الآخرةِ، فمن ظفِرَ به سعدَ ومن فاتَه خسرَ[٥].

ولمَّا ذُكرَ عنده ﷺ رجلَان أحدُهما عابدٌ والآخرُ عالمٌ، قال: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِيْ عَلَى أَدْنَاكُمْ»[٦].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم:٣٧
(٢) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه أحمد (٢١٧١٥) وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) والبيهقي (١٥٧٤) وابن حبان (٨٨) من حديث ابي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم:٣٧
(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٢٦/١)
(٦) أخرجه والترمذي (٢٦٨٥) والطبراني (٧٩١١) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. انظر «آدب الدنيا والدين» للماوردي ص ٤١.

وقال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَطْلُبُ فِيْهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيْقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ»(١).

وقال ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَطَالِبُ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوْت فِي الْبَحْرِ»(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ غَدَا لِطَلَبِ الْعِلْمِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَبُوْرِكَ لَهُ فِي مَعِيْشَتِهِ»(٣).

وقال ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيْدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَجٍّ تَامٍّ»(٤).

وقال ﷺ: «الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ كَهذِهِ مِنْ هَذِهِ -وَجَمَعَ بَيْنَ الْمُسَبِّحَةِ وَالَّتِي تَلِيْهَا- شَرِيْكَانِ فِي الْأَجْرِ، وَلَاخَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ بَعْدُ»(٥).

وقال ﷺ: «أُغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا لِذَلِكَ،

---

(١) أخرجه البيهقي (١٥٧٣) وأبو داود (٣٦٤١) وابن حبان (٨٨) وابن عبد البر (١٧٧) من حديث ابي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أبو يعلى الموصلي وابن عبد البر برقم (١٧) - بلا زيادة «ومسلمة» - عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كنز العمال برقم ٢٨٨٤١ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر برقم ٢١٧

(٤) أخرجه الطبراني والحاكم وصاحب الحلية وابن عساكر والضياء من حديث ابي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر اتحاف السادة المتقين (٤٥/١٢) وكنز العمال برقم ٢٨٨٥٩.

(٥) تاريخ دمشق (٢٧٩/٤٣)، والجامع اللطيف (٦)

وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ»[(١)].

وقال ﷺ: «تَعَلَّمُوْا الْعِلْمَ، وَعَلِّمُوْهُ النَّاسَ»[(٢)].

وقال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُم رِيَاضَ الْجنَّةِ فَارْتَعُوا» فقيل: يا رسولَ اللهِ، وما رياضُ الجنَّةِ؟، قال: «حِلَقُ الذِّكْرِ»[(٣)]، قال عطاءٌ: «هي مَجالسُ الحلالِ والحرامِ. كيفَ تشترِي وكيفَ تصلِّي وكيف تزكِّي وكيف تحجُّ وكيف تنكحُ وكيف تطلقُ وما أشبهَ ذلك»[(٤)].

وقال ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاعْمَلُوْا بِهِ»[(٥)].

وقال ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَكُوْنُوْا مِنْ أَهْلِهِ»[(٦)].

وقال ﷺ: «يُوْزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ[(٧)]».

وقال ﷺ: «مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي الدِّيْنِ، وَلَفَقِيْهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»[(٨)].

---

(١) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان برقم (١٥٨١) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الدار قطني برقم (٤١٠٤) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قال الزبيدي: أخرجه الترمذي وصححه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ «اذا مررتم». اتحاف السادة المتقين ٥٠١/٥

(٤) إعانة الطالبين(٣٠/١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣١٣/٣)

(٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٥٢)

(٦) الجامع اللطيف (٧)

(٧) كنز العمال برقم ٢٨٩٠١، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم (١٥٣) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) قال الزبيدي أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو بكر الأجري في فضل العلم، وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باسناد ضعيف.

وقال ﷺ: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»(١).

وروِيَ: «أَنَّ الْعُلَمَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُوْرٍ»(٢).

ونقلَ القاضِي حسينٌ في أوَّلِ تعليقاتِه أنَّه رُوِيَ عنِ النَّبي ﷺ أنَّه قال: «مَنْ أَحَبَّ الْعِلْمَ وَالْعُلَمَاءَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ خَطِيْئَتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ»(٣).

قال: وروِيَ أنَّه ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى خَلْفَ عَالِمٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى خَلْفَ نَبِيٍّ، فَمَنْ صَلَّى خَلْفَ نَبِيٍّ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ»(٤).

وفي حديثِ أَبِي ذرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ حُضُوْرَ مَجْلِسِ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُوْدِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيْضٍ»(٥).

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الرَّجلَ ليخرجُ من منزلِه وعليه منَ الذُّنوبِ مثلُ جبالِ تهامةَ، فإذا سمعَ العالمَ خافَ واسترجعَ عن ذنوبِه وانصرفَ إلى منزلِه وليس عليه ذنبٌ، فلا تفارقُوا مَجالسَ

انظر اتحاف السادة المتقين (١/٨١)

(١) الجامع اللطيف:٧، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٣١٣) من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم (٤٠)

(٣) التعليقة للقاضي حسين:١٠٣

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم(٤١)، التعليقة للقاضي حسين:١٠٤

(٥) إحياء علوم الدين/مراقي العبودية على متن بداية الهداية

العلماءِ، فإنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لم يخلقْ على وجهِ الأرضِ تربةً أكرمَ من مجالسِ العلماءِ»(١).

ونقل الشَّارِمْسَاحِيُّ المالكيُّ في أوَّلِ كتابِه «نظم الدُّر» عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ عَظَّمَ الْعَالِمَ فَإِنَّمَا يُعَظِّمُ اللهَ تَعَالَىٰ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْعَالِمِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِخْفَافٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُوْلِهِ»(٢).

وقال عليٌّ كرَّم اللهُ وجهَه: «كفَى بالعلمِ شرفًا أن يدَّعيَه من لَا يحسنُه، وكفَى بالجهلِ ذمًّا أن يتبرَّأَ منه مَنْ هُوَ فيه»(٣)

وأنشدَ في معناه {الطويل}

كَفَى شَرَفًا بِالْعِلْمِ دَعْوَاهُ جَاهِلٌ
وَيَفْرَحُ إِنْ أَمْسَى إِلَى الْعِلْمِ يُنْسَبُ
وَيَكْفِي خُمُوْلًا بِالْجَهَالَةِ أَنَّنِي
أَرَاعُ مَتَى أُنْسَبْ إِلَيْهِ وَأَغْضَبُ(٤)

وقال ابنُ الزُّبيرِ: إنَّ أبا بكرٍ كتبَ إليَّ وأنا بالعراقِ: «يا بنيَّ عليك بالعلمِ، فإنَّك إذا افتقرتَ كان مالًا، وإن استغنيتَ كان جمالًا»(٥).

---

(١) إحياء علوم الدين (٤٩٢/١)، الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد (٦١)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم (٤١)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم (٤١).
(٤) معجم الأدباء (٤١/١)
(٥) إحياء علوم الدين (٢١) والمنتقى في أخبار أم القرى (٣٣٤)

وقال وهبُ ابنُ منبّهٍ: «يتشعبُ من العلمِ الشَّرفُ، وإن كان صاحبُه دنيئًا، والعزُّ وإن كان مهانًا، والقربُ وإن كان قصيًّا، والغنَى وإن كان فقيرًا، والمهابةُ وإن كان وضيعًا»(١).

وأنشدَ في معناه: {البسيط}

الْعِلْمُ بَلَّغَ قَوْمًا ذِرْوَةَ الشَّرَفِ
وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مَحْفُوْظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَاصَاحِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدَنِّسُهُ
بِالْمُوْبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفِ
الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ
وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ(٢)

وقال أبو مسلمٍ الخولانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلماءُ في الأرضِ مثلُ النُّجومِ في السَّماءِ، إذا بدتْ للنَّاسِ اهتدُوا بها، وإذا خفيتْ عنهم تحيَّرُوا»(٣).

وأنشدَ في معناه: {الطويل}

مَعَ الْعِلْمِ فَاسْلُكْ حَيْثُمَا سَلَكَ الْعِلْمُ
وَعَنْهُ فَكَاشِفْ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ فَهْمُ

(١) تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم/تهذيب الكمال:١٠/٦٠٨
(٢) البيت لمؤيد الدين الاصبهاني المعروف الطغرائي، جواهر الادب (٤٣٠)
(٣) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد (٦٣) تذكرة السامع والمتكلم (٤٢)

فَفِيْهِ جَـلَاءٌ لِلْقُلُوْبِ مِنَ الْعَمَى
وَعَـوْنٌ عَلَى الدِّيْنِ الَّـذِيْ أَمْرُهُ حَتْمُ

فَخَالِطْ رُوَاةَ الْعِلْمِ وَاصْحَبْ خِيَارَهُمْ
فَصُحْبَتُهُمْ زَيْـنٌ وَخلطُتُهُمْ غنْمُ

وَلَا تَـعْـدُوَنْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ
نُجُوْمُ هُدًى إِنْ غَابَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمُ

فَوَ اللهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا اتَّضَحَ الْهُدَى
وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُوْرِ لَنَا رَسْمُ(١)

وقال كعب الأحبار رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو أنَّ ثوابَ مجلسِ العلماءِ بدَا للنَّاسِ لاقتتلُوا عليه حتى يترُكَ كُلُّ ذي إمارةٍ إمارتَه وكلُّ ذي سوقٍ سوقَه»(٢).

وقال بعضُ السَّلفِ: «خيرُ المواهبِ العقلُ، وشرُّ المصائبِ الجهلُ»(٣).

وقال بعضُهم: «العلمُ أمانٌ من كيدِ الشَّيطانِ وحرزٌ من كيدِ الحسودِ ودليلُ العقلِ»(٤).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢١٩) والمنتقى في أخبار أم القرى (٣٣٩)
(٢) إحياء علوم الدين (٤٩٢/١)
(٣) ادب الدنيا والدين (٧) تذكرة السامع والمتكلم (٤٢)
(٤) الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف (١١)

وأنشدَ في معناه: {البسيط}

مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَالْمَحْمُوْدُ مَنْ عَقَلَ
وَأَقْبَحَ الْجَهْلَ وَالْمَذْمُوْمُ مَنْ جَهِلا
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نُطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ
وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلا
وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ نَالَهُ رَجُلٌ
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلا
تَعَلَّمِ الْعِلْمَ وَاعْمَلْ يَا أَخِيَّ بِهِ
فَالْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلا[١]

وعن معاذُ بنُ جبلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعلَّموا العلمَ فإنَّ تعلُّمَه حسنةٌ، وطلبَه عبادةٌ، ومذاكرتَه تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وبذلَه قربةٌ، وتعليمَه لمن لا يعلمُه صدقةٌ»[٢].

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عالمٌ معلمٌ يدعَى كبيرًا في ملكوتِ السَّماءِ»[٣].

---

(١) البيت لمؤيد الدين الاصبهاني المعروف الطغرائي، جواهر الادب (٤٣٠)، المنتقى في أخبار أم القرى (٣٣٤) الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف (١١)

(٢) المنتقى في أخبار أم القرى (٣٣٧) تنبيه الغافلين (برقم:١٣٢٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٢)

وقالَ سفيانُ بنُ عيينةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أرفعُ النَّاسِ عندَ الله منزلةً مَنْ كانَ بينَ اللهِ وبينَ عبادِه، وهم الأنبياءُ والعلماءُ»(١).

وقالَ أيضًا: «لم يعطَ أحدٌ في الدُّنيَا شيئًا أفضلَ من النُّبوَّةِ، ومَا بعدَ النُّبوَّةِ شيءٌ أفضلُ من العلمِ والفقهِ». فقيلَ له: عمَّنْ هذا؟، قالَ: «عنِ الفقهاءِ كلِّهم»(٢).

وقالَ إمامُنا الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن لم يكنِ الفقهاءُ العاملونَ بعلمِهم أولياءَ اللهِ، فليسَ للهِ وليٌّ»(٣).

وقالَ ابنُ المباركِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يزالُ الرَّجلُ عالمًا ما طلبَ العلمَ، فإذَا ظنَّ أنَّه قدْ علمَ فقدْ جهلَ»(٤).

وقالَ وكيعٌ: «لا يكونُ الرَّجلُ عالمًا حتَّى يسمعَ ممَّنْ هو أسنُّ منه، وممَّنْ هو مثلُه، وممَّن هو دونَه»(٥).

وقالَ سفيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العجائبُ عامَّةٌ، وفي آخرِ الزَّمانِ أعمُّ، والنَّوائبُ(٦) طامَّةٌ وفي أمرِ الدِّينِ أطمُّ، والمصائبُ عظيمةٌ، وموتُ العلماءِ أعظمُ، وإنَّ العالمَ حياتُه رحمةٌ للأمَّةِ، وموتُه في

---

(١) كتاب الفقيه والمتفقه (١٤٩/١)
(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١٣٩/٢)
(٣) مناقب الشافعي للبيهقي (١٥٥/٢)
(٤) إحياء علوم الدين (٨٨/١)
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (برقم: ١٦٦٥)
(٦) وفي «المختار»: وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم، وفي «المصباح»: وطم الأمر طما علا وغلب، ومنه قيل: للقيامة طامة. اهـ

الإسلامِ ثلمةٌ»(١).

وفي الصَّحيحَيْن عن عبدِ الله بن عمرِو بنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوْا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا»(٢).

* فصل

جميعُ مَا ذكرَ من فضلِ العلمِ وأهلِه إنَّما هو في حقِّ العلماءِ العاملِينَ بعلمِهم الأبرارِ المتَّقينَ الَّذينَ قصدُوا به وجهَ اللهِ الكريمِ، والزُّلفَى لدَيْه بجنَّاتِ النَّعيمِ، لا مَنْ قصدَ به أغراضًا دنيويَّةً من جاهٍ أو مالٍ أو مكاثرةٍ في الأتباعِ والتَّلاميذِ(٣).

فقدْ رويَ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يُمَارِيَ بِهِ الْفُقَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوْهَ النَّاسِ أَدْخَلَهُ اللهُ فِي النَّارِ» رواه التُّرمذيُّ(٤).

وعنه ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى لَا

---

(١) الجامع اللطيف (٩) وفي «المختار»: الثلمة: الخلل في الحائط وغيره. إهـ
(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٥)
(٤) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٥٤) من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيْبَ بِهِ غَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ»[(١)].

وعنه ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِغَيْرِ اللهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[(٢)].

وعنه ﷺ: «يُؤْتَى بِالْعَالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُوْرُ بِهَا كَمَا يَدُوْرُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيُطِيْفُ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُوْلُوْنَ مَا لَكَ؟، فَيَقُوْلُ: كُنْتُ آمِرًا بِالْخَيْرِ وَلَا آتِيْهِ وَأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَآتِيْهِ»[(٣)].

وعن بشرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أوحَى اللهُ تعالَى إلى داودَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا تجعَلْ بينِي وبينَك عالمًا مفتونًا فيبعدَك تكبُّرَه عن محبَّتِي، أولئكَ قطَّاعُ الطَّريقِ على عبادِيْ»[(٤)].

وقالَ سفيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما يتعلَّمُ العلمَ ليتَّقَى به اللهُ[(٥)]، وإنَّما فضِّلَ على غيرِه لأنَّه يتَّقَى به اللهُ تَعَالَىٰ، فإن اختلَّ هذا القصدُ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٦٤) وابن ماجه برقم (٢٥٢) وأحمد في المسند برقم (٨٤٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٥٥) وابن ماجه برقم (٢٥٨) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قال العراقي: متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ «الرجل» بدل «العالم». إحياء علوم الدين (٨٩/١)

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن بشر بن الحارث بلفظ «فيصدك» بدل «فيبعدك» كذا في درر العقود الفريدة (٢٨٢/١)، وجامع بيان العلم برقم (١١٧٥)

(٥) جامع بيان العلم وفضله برقم (١١٥٢)

وفسدتْ نيَّةُ طالبِه بأن يستشعرَ به التَّوصُّلَ إلى مُنالِ دنيويٍّ من مالٍ أو جاهٍ فقدْ بطلَ أجرُه وحبطَ عملُه وخسرَ خسرانًا مبينًا»[١].

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بلغَنِي أنَّ الفسقةَ من العلماءِ ومِنْ حملةِ القرآنِ يبدأُ بهم يومَ القيامةِ قبلَ عبَدةِ الأوثانِ»[٢].

---

(١) شرح الحكم لعبد الله الشرقاوي (٢/٥١)

(٢) الجامع بيان العلم برقم (١١٦٤) إحياء علوم الدين (١/٩٤)

الباب الثاني

في آدابِ المتعلِّمِ في نفسِه

وفيه عشرةُ أنواعٍ من الآدابِ:

الأوَّلُ: أن يطهِّرَ قلبَه من كلِّ غشٍّ ودنسٍ وغلٍّ وحسدٍ وسوءِ عقيدةٍ وسوءِ خلُقٍ، ليصلحَ بذلك لقبولِ العلمِ وحفظِه والاطلاعِ على دقائقِ معانيه والفهمِ لغوامضِه[١].

الثَّاني: أن يحسِّنَ النِّيَّةَ في طلبِ العلمِ بأن يقصِدَ به وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ والعملَ به وإحياءَ الشَّريعةِ وتنويرَ قلبِه وتحليةَ باطنِه والتَّقرُّبَ منَ اللهِ تَعَالَى، ولا يقصدَ به الأغراضَ الدُّنيويَّةَ من تحصيلِ الرِّياسةِ والجاهِ والمالِ ومباهاةِ الأقرانِ وتعظيمِ النَّاسِ له ونحوِ ذلك[٢].

الثَّالثُ: أن يبادرَ بتحصيلِ العلمِ شبابَه وأوقاتَ عمرِه، ولا يغترَّ بخدعِ التَّسويفِ والتَّأميلِ، فإنَّ كلَّ ساعةٍ تمرُّ من عمرِه لا بدلَ لها ولا عوضَ عنها، وأن يقطعَ ما قدرَ عليه من العلائقِ الشَّاغلةِ والعوائقِ المانعةِ عن تمامِ الطَّلبِ وبذلِ الاجتهادِ وقوَّةِ الجدِّ في

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٦)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٧)

التَّحصيلِ، فإنَّها قواطعُ طريقِ التَّعلُّمِ(١).

الرابع: أن يقنَعَ من القوتِ واللِّباسِ بما تيسَّرَ، فبالصَّبرِ على أدنَى العيشِ ينالُ سعةَ العلمِ وجمعَ شملِ(٢) القلبِ من متفرِّقاتِ الآمالِ، ويتفجَّرُ فيه ينابيعُ الحكمِ(٣).

قال إمامُنا الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يفلحُ مَنْ طلبَ العلمَ بعزَّة النَّفسِ وسعةِ المعيشةِ، ولكن مَنْ طلبَه بذِلَّة النَّفسِ وضيقِ العيشِ وخدمةِ العلماءِ أفلحَ»(٤).

والخامسُ: أن يقسمَ أوقاتَ ليلِه ونهارِه، ويغتنمَ ما بقيَ من عمرِه، فإنَّ بقيَّةَ العمرِ لا قيمةَ لها، وأجودُ الأوقاتِ للحفظِ الأسحارُ، وللبحثِ الإبكارُ، وللكتابةِ وسطَ النَّهارِ، وللمطالعةِ والمذاكرةِ اللَّيلُ، وأجودُ أماكنِ الحفظِ الغرفُ وكلِّ موضعٍ بعيدٍ عن الملهياتِ، ولا يحسُنُ الحفظُ بحضرةِ النَّباتِ والخضرةِ والأنهارِ وضجيجِ الأصواتِ(٥).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٧).

(٢) وفي «المختار»: وجمع الله شمله- أي ما تشتت من أمره. وفرق الله شمله -أي ما اجتمع من أمره.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٨)

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٨)، الجامع لشعب الإيمان بلفظ «لا يطلب هذا العلم أحد بالتملل» برقم (١٦٠٣) المدخل الى سنن الكبرى برقم (٥١٣) حلية الأولياء (١١٩/٩).

(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٩-٩٠)

والسَّادسُ: أن يقلِّلَ الأكلَ والشُّربَ، فإنَّ الشِّبعَ يمنعُ من العبادةِ ويثقلُ البدنَ، ومن فوائدِ قلةِ الأكلِ صحَّةُ البدنِ ودفعُ الأمراضِ البدنيَّةِ، فإنَّ سببَها كثرةُ الأكلِ وكثرةُ الشَّربِ، كما قال: {الوافر}

فَـإِنَّ الـدَّاءَ أَكْـثَـرُ مَـا تَـرَاهُ
يَـكُـوْنُ مِـنَ الـطَّـعَـامِ أَوِ الـشَّـرَابِ[١]

وصحَّةُ القلوبِ من الطُّغيانِ والبطرِ، ولم يرَ أحدٌ من الأولياءِ والأئمَّةِ والعلماءِ الأخيارِ يتَّصفُ أو يوصفُ بكثرةِ الأكلِ ولا حُمِدَ به، وإنما تحمدُ كثرةُ الأكلِ من الدَّوابِ الَّتي لا تعقلُ وترصدُ للعملِ[٢].

والسَّابعُ: أن يؤاخذَ[٣] نفسَه بالورعِ والاحتياطِ في جميعِ شأنِه ويتحرَّى الحلالَ في طعامِه وشرابِه ولباسِه ومسكنِه، وفي جميعِ ما يحتاجُ إليه ليستنيرَ قلبُه ويصلحَ لقبولِ العلمِ ونورِه والنَّفعِ به، وينبغِي له أن يستعملَ الرُّخصَ في مواضعِها عندَ الحاجةِ إليها ووجودِ سببِها، فإنَّ اللهَ يحبُّ أن تؤتَى رخصُه كما يحبُّ أن تؤتَى عزائمُه[٤].

والثَّامنُ: أن يقلِّلَ استعمالَ المطاعمِ الَّتِي هيَ من أسبابِ

---

(١) والبيت لابن الرومي في ديوانه (١٤٩/١)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٠)
(٣) في تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم «يأخذ» (٩١)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٢)

البلادةِ وضعفِ الحواسّ كالتُّفَّاحِ الخامضِ والباقلاءِ وشربِ الخلِّ، وكذلك ما يكثرُ استعمالُه البلغمَ المبلدَ للذِّهنِ والمثقلَ للبدنِ ككثرةِ الألبانِ والسَّمكِ وأشباهِ ذلك[١].

وينبغِي أن يجتنبَ ما يورثُ النِّسيانَ بالخاصِّيَّةِ كأكلِ أثرِ سورِ الفأرِ[٢] وقراءةِ ألواحِ القبورِ والدُّخولِ بين جملَيْن مقطورَيْن وإلقاءِ القملِ حيًّا[٣].

والتّاسعُ: أن يقلّلَ نومَه ما لم يلحقْه ضررٌ في بدنِه وذهنِه، ولا يزيدَ في نومِه في اليومِ واللَّيلةِ على ثمانِ ساعاتٍ وهو ثلثُ الزَّمانِ، فإن احتملَ حالُه أقلَّ منها فعلَ، ولا بأسَ أن يريحَ نفسَه وقلبَه وذهنَه وبصرَه إذا كلّ شيءٌ من ذلك وضعفَ بتنزُّهٍ وتفرُّجٍ في المتنزَّهاتِ بحيث يعودُ إلى حالِه ولا يضيعُ عليه[٤].

والعاشرُ: أن يتركَ العشرةَ فإنَّ تركَها مِن أهمِّ ما ينبغِي لطالبِ العلمِ ولا سيَّما لغيرِ الجنسِ خصوصًا إن كثُر لعبُه وقلَّتْ فكرتُه، فإنَّ الطَّبعَ سرَّاقٌ.

وآفةُ العشرةِ ضياعُ العمرِ بغيرِ فائدةٍ وذهابُ الدِّينِ إذا كان مع غيرِ أهلِه، فإن احتاجَ إلى مَنْ يصحبُه فليكنْ صاحبًا صالحًا ديِّنًا

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٢)

(٢) في المصباح «و(السؤر) بالهمزة من الفأرة وغيرها كالريق من الإنسان»

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٢)

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٣)

تقيًّا ورعًا زكيًّا كثيرَ الخيرِ قليلَ الشَّرِّ حسنَ المروءةِ قليلَ المُماراتِ إن نسيَ ذكَّرَ وإن ذكرَ أعانَهُ[١].

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٤)

الباب الثالث

في آدابِ المتعلمِ مع شيخِه

وفيه اثنَا عشرَ نوعًا من الآدابِ:

الأوَّلُ: ينبغِي للطَّالبِ أن يقدِّمَ النَّظرَ ويستخيرَ اللهَ تَعَالَى فيمنْ يأخذُ العلمَ عنه ويكتسبَ حسنَ الأخلاقِ والآدابِ منه، وليكنْ إن أمكنَ ممن ثبتتْ أهليَّتُه وتحقَّقَتْ شفقتُه وظهرَتْ مروءتُه واشتهرتْ صيانتُه، وكانَ أحسنَ تعليمًا وأجودَ تفهيمًا(١).

فعن بعضِ السَّلفِ: «هذا العلمُ دينٌ، فانظُروا عمَّنْ تأخذُونَ دينَكم»(٢).

والثَّانِي: يجتهدُ أن يكونَ الشَّيخُ ممن له على العلومِ الشَّرعيَّةِ تمامُ اطلاعٍ، وله ممن يوثَقُ به من مشايخِ عصرِه كثرةُ بحثٍ وطولُ اجتماعٍ، لا ممَّنْ أخذَ العلمَ عن بطونِ الأوراقِ ولم يعرفْ بصحبةِ المشايخِ الحذاقِ(٣).

قالَ إمامُنا الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن تفقَّهَ من بطونِ الكتبِ ضَيَّعَ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٦)

(٢) من قول ابن سيرين: رواه مسلم (١/١١)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٧)

الأحكامَ»(١).

والثَّالثُ: أن ينقادَ لشيخِه في أمورِه ولا يخرجُ عن رأيِه وتدبيرِه، بل يكونُ معه كالمريضِ مع الطَّبيبِ الماهرِ فيستأمرُه فيما يقصدُه ويتحرَّى رضاه فيما يعملُه ويبالغُ في حرمتِه ويتقرَّبُ إلى اللهِ تَعَالَىٰ بخدمتِه، وليعلمْ أنَّ ذلَّه لشيخِه عزُّه، وخضوعَه له فخرُه، وتواضعَه له رفعتُه.

والرَّابعُ: أن ينظرَ إليه بعينِ الإجلالِ والتَّعظيمِ ويعتقدَ فيه درجةَ الكمالِ، فإنَّ ذلك أقربُ إلى نفعِه به(٢).

قال أبو يوسفُ: سمعتُ السَّلفَ يقولونَ: «مَن لا يعتقدُ جلالةَ أستاذِه لا يفلحُ»(٣).

فلا يخاطبُ شيخَه بتاءِ الخطابِ وكافِه، ولا ينادِيه باسمِه، بل يقولُ: «يا سيِّدِي» أو «يا أستاذِي»، ولا يذكرُه أيضا في غيبتِه باسمِه إلا مقرونًا بما يشعرُ بتعظيمِه كقولِه: «قال الشَّيخُ الأستاذُ كذا....» أو «قالَ شيخُنا....» أو نحوِ ذلك(٤).

والخامسُ: أن يعرفَ له حقَّه ولا ينسَى له فضلَه، وأن يدعوَ له مدَّةَ حياتِه وبعدَ مماتِه، ويراعيَ ذريَّتَه وأقاربَه وأَوِدَّائَه، ويتعاهدَ

---

(١) المجموع شرح المهذب (٣٨/١)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٨)
(٣) نيل الأماني في توضيح مقدمة القسطلاني لشرحه على صحيح البخاري (١٤٤)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٨)

زيارةَ قبرِه والاستغفارَ له والصَّدقةَ عنه ويسلكَ في السَّمتِ[١] والهدى[٢] مسلكَه، ويراعيَ في الدِّينِ والعلمِ عادتَه، ويتأدبَ بآدابه ولا يدعَ الاقتداءَ به[٣].

والسَّادسُ: أن يتصبَّرَ على جفوةٍ تصدرُ من الشَّيخِ أو سوءِ خلقِه، ولا يصدَّه ذلك عن ملازمتِه واعتقادِ كمالِه، ويتأوَّلُ لأفعالِه الَّتِي يظهرُ أنَّ الصَّوابَ خلافُها على أحسنِ تأويلٍ[٤].

وإذا جفاه الشَّيخُ ابتدأَ هو بالاعتذارِ وأظهرَ الذَّنبَ له والعتبَ[٥] عليه[٦]، فإنَّ ذلك أبقَى لمودَّةِ شيخِه على توقيفِه فيما فيه فضيلةٌ وعلى توبيخِه على ما فيه نقيصةٌ، أو على كسلٍ يعتريْه[٧]، أو على تقصيرٍ يعانِيْه[٨] أو غيرِ ذلك ممَّا في إيقافِه عليه وتوبيخِه إرشادُه وإصلاحُه، ويعدُّ ذلك من الشَّيخِ من نعمِ اللهِ تَعَالَى باعتناءِ الشَّيخِ به ونظرِه إليه، فإنَّ ذلك أميلُ لقلبِ الشَّيخِ أبعثُ على

(١) وفي «المختار»: السمت الطريقة وهو أيضا هيئة أهل الخير. اهـ
(٢) في تذكرة السامع «الهدي».
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٠)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٠)
(٥) وفي «المختار»: استعتبه فأعتبه استرضاه. اهـ
(٦) المجموع شرح المهذب (٣٧/١)
(٧) وفي «المختار»: عراه كذا من باب عدا واعتراه- أي غشيه. اهـ
(٨) وفي «القاموس» وشرحه: والعنية بالفتح العناء وتعناها تحشمها. وعاناه معاناة: شاجره. لا تعان أصحابك أي ات تشاجرهم وقاساه، يقال هو يعاني كذا أي يقاسي. اهـ

الاعتناءِ بمصالحِه(١).

وإذا أوقفَه الشَّيخُ على دقيقةٍ من أدبٍ أو نقيصةٍ صدرتْ منه كانَ يعرفُها من قبلُ، فلا يظهرُ أنَّه كانَ عارفًا بها وغفلَ عنها بل شكرَ الشَّيخَ على إفادتِه ذلك واعتنائِه بأمرِه، فإنْ كانَ له في ذلكَ عذرٌ وكانَ إعلامُ الشَّيخِ به أصلحَ فلا بأسَ، وإلَّا تركَه إلَّا أن يترتَّبَ على تركِ بيانِ العذرِ مفسدةٌ فيتعيَّنُ إعلامُه(٢).

والسَّابعُ: أن لا يدخُلَ على الشَّيخِ في غيرِ المجلسِ العامِّ إلا باستئذانٍ، سواءٌ كانَ الشَّيخُ وحدَه أو كانَ معه غيرُه، فان استأذنَ بحيثُ يعلمُ الشَّيخُ ولم يأذنْ له انصرفَ، ولا يكرِّرُ الاستئذانَ، وإن شكَّ في علمِ الشَّيخِ به فلا يزيدُ في الاستئذانِ فوقَ ثلاثِ مرَّاتٍ أو ثلاثِ طرقاتٍ للبابِ، وليكنْ طرقُ البابِ خفيفًا بأدبٍ وبأظفارِ الأصابعِ ثم بالأصابعِ قليلًا قليلًا، وإذا أذنَ وكانُوا جماعةً تقدَّمَ أفضلُهم وأسنُّهم في الدُّخولِ والسَّلامِ عليه، ثم سلَّمَ عليه الأفضلُ فالأفضلُ(٣).

ويدخلُ على الشَّيخِ كاملَ الهيئةِ متطهِّرَ البدنِ والثِّيابِ نظيفَهما بعدَ مَا يحتاجُ إليه مِن أخذِ ظفرٍ وإزالةِ رائحةٍ كريهةٍ، لا سيَّما إذا

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠١)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠١)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٢)

قصدَ العلمَ فإنَّه مجلسُ ذكرٍ واجتماعٍ وعبادةٍ[١].

ومتَى دخلَ على الشَّيخِ في غيرِ المجلسِ العامِ وعندَه مَنْ يتحدَّثُ معه فسكتُوا عن الحديثِ، أو دخلَ والشَّيخُ وحدَه يصلِي أو يذكرُ أو يطالعُ فتركَ ذلك سكتَ ولا يبدؤُه بالكلامِ بل يسلِّمُ ويخرجُ سريعًا إلَّا أن يأمرَه الشيخُ بالمكثِ، وإذا مكَثَ فلا يطيلُ إلَّا أن يأمرَه بذلك[٢].

وإذا حضرَ مكانَ الشَّيخِ فلم يجدْه جالسًا انتظرَه كيلا يفوتَ على نفسِه درسُه، ولا يطرقُ عليه ليخرجَ إليه، وإن كان نائمًا صبرَ حتَّى يستيقظَ، أو ينصرفَ ثم يعودُ، والصَّبرُ خيرٌ له، ولا يخترعُ عليه وقتًا خاصًا به دون غيرِه وإن كانَ رئيسًا أو كبيرًا لما فيه من التَّرفُّعِ والحمقِ على الشَّيخِ والطَّلبةِ، فإن بدأَه الشَّيخُ بوقتٍ معيَّنٍ أوخاصٍّ لعذرٍ عائقٍ له عنِ الحضورِ مع الجماعةِ أو لمصلحةٍ رآها الشَّيخُ فلا بأسَ به[٣].

والثَّامنُ: أن يجلسَ أمامَ الشَّيخِ بالأدبِ كأنْ يحثوَ على ركبتَيْه، أو يجلسَ كالتَّشهُّدِ غيرَ أنَّه لا يضعُ يدَيْه على فخذَيْه، أو يجلِسَ متربِّعًا بتواضعٍ وحضوعٍ وسكونٍ وخشوعٍ، وأن لا يلتفتَ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٢)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٢)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٣)

بلا ضرورةٍ، بل يقبلُ بكليّتِه عليه مُصغيًا له ناظرًا إليه متعقِلًا لقولِه بحيثُ لا يحوجُه إلى إعادةِ الكلامِ مرَّةً ثانيةً(١).

ولا ينظرَ إلى يمينِه أو يسارِه أو فوقِه لغيرِ حاجةٍ ولا سيَّما عند بحثِه، ولا يضطربَ لضجَّةٍ يسمعُها ولا يلتفتَ إليها، ولا ينفضَ كمَّيْه، ولا يحسرَ عن ذراعِه، ولا يعبثَ بيدَيْه أو رجلَيْه أوغيرِهما من أعضائِه، ولا يفتحَ فاه، ولا يقرعَ سنَّه، ولا يضربَ الأرضَ ونحوَها براحتِه أو بأصابعِه، ولا يشبِّكَ أصابعَ يدَيْه، ولا يعبثَ بإزارِه ونحوِه.

ولا يستندَ بحضرةِ الشَّيخِ إلى حائطٍ أو مخدَّةٍ، ولا يعطيَ الشَّيخَ جنبَه أو ظهرَه، ولا يعتمدَ على يدَيْه إلى ورائِه أو إلى جنبِه، ولا يحكيَ ما يضحكُ منه أو ما فيه بذاءةٌ وسوءُ مخاطبةٍ أو سوءُ أدبٍ، ولا يضحَكَ لغيرِ عجبٍ، ولا يعجبَ دونَ الشَّيخِ، فإن غلبَه يتبسَّمُ من غيرِ صوتٍ، ولا يبصقَ ولا يتنحنحَ ما أمكنَه، ولا يلفظَ النُّخامةَ من فِيْهِ بل يأخذُها من فِيْهِ بمنديلٍ أو طرفِ ثوبِه، وإذا عطسَ خفضَ صوتَه جهدَه وسترَ وجهَه بنحوِ منديلٍ، وإذا تثاءبَ سترَ فَاه بعد ردِّه جهدَه(٢).

وأن يتأدَّبَ مع رفقتِه وحاضرِي المجلسِ، فيوقِّرَ أصحابَه

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٣)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٤)

ويحترمَ كبراءَه وأقرانَه، فإنَّ تأدُّبَه معهم تأدُّبٌ للشَّيخِ واحترامٌ لمجلسِه، ولا يخرجَ عن صَفِّ بِنْيَةِ الحلقةِ بتقدُّمٍ أو تأخُّرٍ، ولا يتكلَّمُ في أثناءِ درْسٍ بما لا يتعلَّقُ به أو بما يقطعُ عليه بحثَه، وإن أساءَ بعضُ الطَّلبةِ على أحدٍ لم ينهرْه غيرُ الشَّيخِ إلَّا بإشارتِه، وإن أساءَ أحدٌ أدبَه على الشَّيخِ تعيَّنَ على الجماعةِ انتهارُه وردُّه والانتصارُ للشَّيخِ بقدرِ الإمكانِ، ولا يسبقْه إلى شرحِ مسألةٍ أو جوابِ سؤالٍ إلَّا إن كانَ بإذنٍ منه(١).

ومِن تعظيمِ الشَّيخِ أن لا يجلسَ إلى جانبِه ولا على مصلَّاه ولا على فراشِه، وإن أمرَه الشَّيخُ بذلك فلا يفعلُه إلَّا إذا جزمَ عليه جزمًا يشقُّ عليه مخالفتُه، فلا بأسَ بامتثالِ أمرِه في تلك الحالِ، ثم يعودُ إلى ما يقتضِيه الأدبُ.

وقد تكلَّمَ النَّاسُ في «أيُّ الأمرَينِ أولَى» أن يعتمدَ امتثالَ الأمرِ أو سلوكَ الأدبِ، والَّذي يترجَّحُ التَّفصيلُ، فإن جزمَ الشَّيخُ بما أمرَه به جزمًا أكيدًا فامتثالُ الأمرِ أولَى، وإلَّا فسلوكُ الأدبِ أولَى؛ لجوازِ أن يقصِدَ الشَّيخُ إظهارَ احترامِه والاعتناءِ به فيقابلُ هو ذلك بما يجبُ مِن تعظيمِ الشَّيخِ والأدبِ معَه(٢).

والتَّاسعُ: أن يحسنَ خطابَه مع الشّيخِ بقدرِ الإمكانِ، فلا يقولُ:

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٩)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٥)

«لِمَ؟» و«لا نُسَلِّمُ» ولا «مَنْ نقلَ هٰذا؟» ولا «أينَ موضعُه؟» وشِبْهَ ذلك، فإن أرادَ استفادتَه تلطَّفَ في الوصولِ إلى ذلك، ثم هو في مجلسٍ آخرَ أولَى على سبيلِ الاستفادةِ.

وإذا ذكر الشَّيخُ شيئًا فلا يقولُ: «هٰكذا قلتُ» أو «خطرَ لي» أو «كذا قالَ فلانٌ»، وكذا لا يقولُ: «قالَ فلانٌ بخلافِ قولِك» أو «هٰذا غيرُ صحيحٍ» ونحوَ ذلكَ[١].

وإذا مرَّ الشَّيخُ على قولٍ أو دليلٍ ولم يظهرْ أو على خلافِ صوابٍ لغفلةٍ أو قصورِ نظرٍ في تلك الحالِ، فلا يغيِّرُ وجهَه أو عينَه، بل يأخذُه ببشرٍ ظاهرٍ، فإنَّ العصمةَ في البَشرِ ليستْ إلا للأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعِينَ[٢].

والعاشرُ: إذا سمعَ الشَّيخَ يذكرُ حكمًا في مسألةٍ أوفائدةٍ أو يحكِي حكايةً أو يُنشدُ شعرًا وهو يحفظُ ذلك أصغَى إصغاءَ مستفيدٍ لهِ في الحالِ متعطشٍ إليه فرِحَ به كأنَّه لم يسمعْهُ قطُّ[٣].

قال عطاءٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنِّي لأسمعُ الحديثَ من الرَّجُلِ، وأنا أعلمُ به منه، فأُرِيْهِ من نفسِي إنِّي لا أُحسنُ منه شيئًا[٤]»

وعنه قال: «إنَّ بعضَ الشُّبانِ لَيَتحدَّثُ بحديثٍ، فأَسمعُ لهِ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٦)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٧)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٨)

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/٣١١)

كأنِّي لم أسمعْه، ولقدْ سمعْتُه قبلَ أن يولدَ[١]».

فإن سألَه الشَّيخُ عندَ الشُّروعِ في ذلك عن حفظِه فلا يجيبُ بـ«نعَمْ» لما فيه مِن الاستغناءِ عن الشَّيخِ فيه، ولا يقولُ: «لا» لما فيه مِن الكذبِ، بل يقولُ: «أحبُّ أن أسمعَه من الشَّيخِ» أو «أن أستفيدَه منه»[٢].

والحادِي عشرَ: أن لا يسبقَ الشَّيخَ إلى شرحِ مسألةٍ أو جوابِ سؤالٍ، ولا يساوقَه[٣] منه ولا يُظهرَ معرفتَه به أو إدراكَه له، ولا يقطعَ على الشَّيخِ كلامَه أيَّ كلامٍ كانَ، ولا يسابقَه به، ولا يساوقَه بل يصبرُ حتَّى يفرُغَ الشَّيخُ من كلامِه ثم يتكلَّم[٤].

ولا يتحدَّثُ مع غيرِه والشَّيخُ يتحدَّثُ معَه أو معَ جماعةِ المجلسِ، وليكنْ ذهنُه حاضرًا في جهةِ الشَّيخِ بحيثُ إذا أمرَه بشيءٍ، أو سألَه عن شيءٍ، أو أشارَ إليه لم يُحوجْه إلى الإعادةِ ثانيًا[٥].

والثَّاني عشرَ: إذا ناولَه الشَّيخُ شيئًا تناولَه باليمينِ، فإن كانَ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٢٥١/٢٢) الجامع لأخلاق الروي برقم (٣٥٢)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٧)

(٣) وفي «المصباح»: والفقهاء يقولون تساوقت الخطبتان ويريدون المقارنة والمعية. إهـ

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٨)

(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٨-١٠٩)

ورقةً يقرؤُها كفتيًا، أو قصةٍ أو مكتوبِ شرعٍ ونحوِ ذلك نشرَها ثم رفعَها إليه، ولا يدفعُها إليه مطويَّةً إلَّا إذا علمَ أو ظنَّ إيثارَ الشَّيخِ لذلك(١).

وإن ناولَ الشَّيخُ كتابًا ناولَه إيَّاه مهيَّأً لفتحِه والقراءةِ فيه من غيرِ احتياجٍ إلى إدارتِه، فإن كان النَّظرُ في موضعٍ معيَّنٍ فليكنْ مفتوحًا كذلك ويعيِّنُ له المكانَ، ولا يحذفُ إليه الشَّيءَ حذفًا من كتابٍ أو ورقةٍ أو غيرِ ذلك، ويمدُّ يدَيْه إليه إذا كان الشَّيخُ بعيدًا ولا يحوجُه إلى مدِّ يدِه لأخذٍ منه أو عطاءٍ بل يقومُ إليه قائمًا، ولا يزحفُ إليه زحفًا.

وإذا جلسَ بين يدَيْه فلا يقربُ منه قربًا كثيرًا ينسبُ فيه إلى سوءِ أدبٍ. ولا يضعُ يدَه أو رجلِه أو شيئًا من بدنِه أو ثيابِه على ثيابِ الشَّيخِ أو وِسادتِه أو سجادتِه أو فراشِه(٢).

وإذا ناولَه قلمًا ليكتبَ به فليمدَّه قبلَ إعطاءِه إيَّاه، وإن وضعَ بينَ يدَيْه دواةً فلتكنْ مفتوحةَ الغطاءِ مهيَّأةً للكتابةِ منها.

وإذا ناولَه سِكِّينًا(٣) فلا يصوِّبُ إليه شفراتَها(٤) ولا نصابَها ويدُه قابضةٌ على الشُّفرِ بل يكونُ عرضُها وحدُّ شفرِها إلى جهتِه

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٨-١٠٩)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٩)
(٣) في «المصباح»: السكين معروف، وحكي ابن الأنباري فيه التذكير والتأنيث. اهـ
(٤) في «المصباح»: شفر كل شيء حرفه. اهـ

قابضًا على طرفِ النّصابِ ممَّا يلِي الفصلَ جاعلًا نصابَها على يمينِ الآخذِ.

وإن ناولَه سجَّادةً يصلِّي عليها نشرَها أوَّلًا، والأدبُ أن يفرشَها هو عندَ قصدِ ذلك، ولا يجلسُ بحضرةِ الشَّيخِ على سجَّادةٍ ولا يصلّي عليها إلَّا إذا كان المكانُ غيرَ طاهرٍ أو يحتاجُ إليها لعذرٍ، وإذا قامَ الشَّيخُ بادرَ القومُ إلى أخذِ السَّجَّادةِ وإلى الأخذِ بيدِه أو عضدِه إن احتاجَ إليه وإلى تقديمِ نعلِه إن لم يشقَّ ذلك على الشَّيخِ(١).

ويقصدُونَ بذلك كلِّه التَّقرُّبَ إلى اللهِ وطلبَ رضَا الشَّيخِ؛ فقدْ قيلَ: «أربعةٌ لا يأنفُ(٢) الشَّريفُ منهنَّ وإن كانَ أميرًا: قيامُه من مجلسِه لأبِيْه، وخدمتُه منه، والسُّؤالُ عمَّا لا يعلمُ، وخدمتُه لضيفِه»(٣).

وإذا مشَى مع الشَّيخِ فليكنْ أمامَه باللَّيلِ ووراءَه بالنَّهارِ إلَّا أن يقتضيَ الأمرُ خلافَ ذلك لزحمةٍ أو غيرِها، ويتقدمُ عليه في المواطنِ المجهولةِ الحالِ؛ لوَحلٍ أو خوضٍ وفي المواطنِ الخطرةِ، ويحترزُ من ترشيشِ ثيابِ الشَّيخِ.

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٠٩-١١٠)

(٢) وفي «المصباح»: أنف من الشيء أنفا، من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبة أي استنكف وهو الاستكبار وأنف منه تنزه عنه. اهـ

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٠)

وإذا كانَ في زحمةٍ صانَه عنها بيدِه إمَّا من قدَّامِه أو من وراءِه، وإذا مشَى أمامَه التفتَ إليه بعدَ كلِّ قليلٍ، فإن كانَ وحدَه والشَّيخُ يكلِّمُه حالةَ المشيِ وهما في ظلٍّ فليكنْ عن يمينِه، وقيل: عن يسارِه متقدِّمًا عليه قليلًا ملتفتًا إليه، ويعرِّفُ الشَّيخَ بمَنْ قرُبَ منه ممَّنْ قصدَه من الأعيانِ إن لم يعلمِ الشَّيخُ به[١].

ولا يمشِي إلى جانبِ الشَّيخِ إلَّا لحاجةٍ أو إشارةٍ منه، ويحترزُ عن مزاحمتِه بكتفِه أو بكتفِ دابَّتِه إن كانَا راكبَينِ وملاصقةِ ثيابِه، ويؤثرُ لجهةِ الظِّلِّ في الصَّيفِ، وبجهةِ الشَّمسِ في الشِّتاءِ، وبالجهة التي لا تقرعُ الشَّمسُ فيها وجهَه إذا التفتَ إليه، ولا يمشِي بينَ الشَّيخِ وبينَ مَنْ يحدِّثُه، بل يتأخَّرُ عنهما إذا تحدَّثَا أو يتقدَّمُ ولا يقربُ ولا يسمعُ ولا يلتفتُ، فإذا أدخلَاه في الحديثِ فليأتِ من جانبٍ آخرَ[٢].

وإذا صادفَ الشَّيخُ في الطَّريقِ بدأَه بالسَّلامِ ويقصدُه إن كان بعيدًا ولا ينادِيه، ولا يسلِّمُ عليه من بعيدٍ ولا من وراءِه بل يقربُ منه ويتقدَّمُ عليه ثم يسلِّمُ ولا يشيرُ عليه ابتداءً بالأخذِ في طريقٍ حتَّى يستشيرَه، ولا يسألُه في الطَّريقِ[٣].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٠)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١١)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١١)، مراقي العبودية (١٦٨)

وإذَا وصلَ إلى منزلِ الشَّيخِ فلا يقفُ قبالةَ بابِه كراهةَ أن يصادفَ خروجُ مَنْ يكرهُ الشَّيخُ اطلاعَه عليه، وإذا صعدَ معه سُلَّمًا تأخَّرَ المتعلِّمُ عن الشَّيخِ، وإذا نزلَ الشَّيخُ سبقَه لاحتمالِ أن تزلَّ رجلُ الشَّيخِ فيعتمده[١].

ولا يقولُ لما رآه الشَّيخُ وكان خطأً: «هذا خطأٌ» ولا «هذا ليسَ برأيٍ»، بل يقولُ: «الظَّاهرُ أنَّ المصلحةَ في كذا»، ولا يقولُ: «الرَّأيُ عندِي كذا» أو شبهَ ذلك[٢].

---

(١) مسلك الأتقياء ومنهج الأصفياء (٣١٧)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١١)

الباب الرابع

في آدابِ المتعلمِ في دروسِه وما يعتمدُه معَ الشَّيخِ والرُّفقةِ

وفيه ثلاثةَ عشرَ نوعًا منَ الآدابِ:

الأوَّلُ: أن يبدأَ بفرضِ عينِه فيحصِّلُ أولًا أربعةَ علومٍ:

١) علمُ الذَّاتِ العاليةِ، ويكفِيه أن يعتقدَ أنَّها موجودةٌ قديمةٌ باقيةٌ منزَّهةٌ عنِ النَّقائصِ، متَّصفةٌ بصِفاتِ الكمالاتِ.

٢) وعلمُ الصِّفاتِ، ويكفِيه أن يعتقدَ أنَّ الذَّاتَ العاليةَ متَّصفةٌ بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ والسَّمعِ والبصرِ والكلامِ، وإن زاد براهينَها منَ الكتابِ والسُّنَّةِ فهو كمالُ العلمِ.

٣) الثَّالثُ علمُ الفقهِ، ويكفيه ما يتقنُ به طاعتَه من طهارةٍ وصلاةٍ وصيامٍ، وإن كان له مالٌ تعلَّمَ ما يجبُ عليه فيه، ولا يُقدمُ على أمرٍ حتَّى يعلمَ حكمَ الله تَعَالَى فيه.

٤) العلمُ الرَّابعُ علمُ الأحوالِ والمقاماتِ ومخادعِ النُّفوسِ ومكايدِها وما يجرِي مجرَى ذلك.

وقد ذكرَ ذلك كلَّه الإمامُ الغزاليُّ في «بداية الهداية»، والسَّيِّدُ عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ في «سلّم التَّوفيقِ» رَحِمَهُمَاٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

والثَّاني: أن يتبعَ فرضَ عينِه بتعلُّمِه كتابَ اللهِ العزيزَ، فيتقنَه إتقانًا جيِّدًا، ويجتهدَ في فهمِ تفسيرِه وسائرِ علومِه؛ فإنَّه أصلُ العلومِ وأمُّها وأهمُّها، ثمَّ يحفظَ من كلِّ فنٍّ مختصرًا يجمعُ فيه بين طرفَيْهِ منَ الحديثِ وعلومِه والأصولَيْن والنَّحوِ والصَّرفِ، ولا يشغلُه ذلك كلِّه عن دراسةِ القرآنِ وتعهُّدِه وملازمتِه وردًا منه كلَّ يومٍ، وليحذرْ من نسيانِه بعد حفظِه، فقد وردَ فيه أحاديثُ تزجرُ عنه، ويشتغلَ بشرحِ تلكَ المحفوظاتِ على المشايخِ، وليحذرْ منَ الاعتمادِ في ذلك على الكتبِ ابتداءً، بل يعتمدُ في كلِّ فنٍّ مَنْ هو أحسنُ تعليمًا له وأكثرُ تحقيقًا فيه، ويراعِيَ في المشايخِ الدينَ والعلمَ والشَّفقةَ وغيرَها، وليأخذْ منَ الحفظِ والشَّرحِ ما يمكنُه ويطيقُه حالُه من غيرِ إكثارٍ مملٍّ ولا تقصيرٍ مخلٍّ بجودةِ التَّحصيلِ.(١)

والثَّالثُ: أن يحذرَ في ابتداءِ أمرِه منَ الاشتغالِ في الاختلافِ بينَ العلماءِ وبينَ النَّاسِ مطلقًا في العقليَّاتِ والسَّمعيَّاتِ؛ فإنَّه يحيرُ الذهنَ ويدهشُ العقلَ، بل يتقنُ أوّلًا كتابًا واحدًا في فنٍّ واحدٍ وكتبًا في فنونٍ إن كان يحتملُ ذلك على طريقةٍ واحدةٍ يرتضِيها له شيخُه، فإن كانتْ طريقةُ شيخِه نقلَ المذاهبِ والاختلافِ ولم يكن له رأيٌ واحدٌ، قال الغزاليُّ: «فليحذرْ منه؛ فإنَّ ضررَه أكثرُ من

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٣)

النَّفعِ به»، وكذلك يحذرُ في ابتداءِ طلبِه من المطالعاتِ في تفاريقِ المصنَّفاتِ؛ فإنَّه يضيِّعُ زمانَه ويفرِّقُ ذهنَه بل يعطِي الكتابَ الذى يقرؤُه أو الفنَّ الذى يأخذُه كليَّتَه حتى يتقنَه، وكذلك يحذرُ مِن تنقّلٍ مِن كتابٍ إلى كتابٍ من غيرِ موجبٍ؛ فإنَّه علامةُ الضَّجرِ وعدمُ الفلاحِ(١).

وأمَّا إذا انتهَى وتأكَّدَت معرفتُه فالأَولَى أن لا يدعَ فنًّا من العلومِ الشَّرعيَّةِ إلَّا نظرَ فيه، فإن ساعَدَه القدرُ و طولُ العمرِ على التَّبحُّرِ فيه، وإلَّا فكانَ قد استفادَ منه ما يتخلَّصُ به عن عروةِ الجهلِ بذلك العلمِ، وليعتنِ من كلِّ فنٍّ بالأهمِّ، ولا يغفُلُ عن العملِ به الَّذِى هو المقصودُ بالعلمِ(٢).

والرَّابعُ: أن يصحِّحَ ما يقرؤُه قبلَ حفظِه تصحيحًا جيِّدًا؛ إمَّا على الشَّيخِ أو على غيرِه ممن يتقنُه، ويحفظُه بعد ذلك حفظًا محكمًا، ثم يكرِّرُه بعد حفظِه تكرارَ مواظبٍ، ولا يحفظَ شيئًا قبلَ تصحيحِه؛ لأنَّه يوقعُ في التَّحريفِ، وقد تقدَّمَ أنَّ العلمَ لا يؤخذُ من الكتبِ فإنَّه من أضرِّ المفاسدِ، وينبغِي أن يحضرَ عندَه الدواةَ والقلمَ والسِّكينَ ليصلحَ ويضبطَ ما يصحِّحُه لغةً وإعرابًا(٣).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٣)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٤)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٤)

والخامسُ: أن يبكرَ لسماعِ العلمِ لا سيَّما الحديثَ، ولا يهملَ الاشتغالَ به وبعلومِه والنَّظرِ في إسنادِه و أحكامِه وفوائدِه ولغتِه وتوارخِه[(١)].

ويعتنِي أوَّلًا بـ«صحيحِ البخاريِّ» و«مسلمٍ» ثم بقيَّةِ الكتبِ الأصولِ المعتمدةِ في هذا الشَّأنِ كـ«موطَّأِ الإمامِ مالكٍ» و«سننِ أبِي داودَ» و«النَّسائِيِّ» و«ابنِ ماجَه» و«جامعِ التُّرمذيِّ»، ولا ينبغِي أن يقتصرَ على ما هو أقلُّ من ذلك، ونعمَ المعينُ للفقيهِ كتابُ «سننِ الكبيرِ» لأبِي بكرٍ البيهقيِّ، فإنَّ الحديثَ أحدُ جناحَيْ العلمِ بالشَّريعةِ والمبيِّنُ لكثيرٍ من الجناحِ الآخرِ وهو القرآنُ[(٢)].

قال إمامُنا الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من نظرَ في الحديثِ قويَتْ حجَّتُه»[(٣)].

والسَّادسُ: إذا شرحَ محفوظاتِه المختصراتِ، وضبطَ ما فيها منَ الإشكالاتِ والفوائدِ المهمَّاتِ، انتقلَ إلى بحثِ المبسوطاتِ مع المطالعةِ الدَّائمةِ، وتعليقِ ما يمرُّ به، أو يسمعُه من الفوائدِ النَّفيسةِ، والمسائلِ الدَّقيقةِ والفروعِ الغريبةِ، وحلِّ المشكلاتِ

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٥)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٥)
(٣) جامع بيان العلم وفضله برقم (٢٢٣٣)، المدخل الى سنن الكبرى برقم (٥١١) كل بلفظ «كتب» بدل «نظر»

والفروقِ بينَ أحكامٍ متشابهاتٍ من جميعِ أنواع العلومِ[١].

ولتكنْ همَّتُه في طلبِ العلمِ عاليةً، فلا يكتفِي بقليلِ العلمِ مع إمكانِ كثيرِه، ولا يقنعُ من إرثِ الأنبياءِ بيسيرٍ، ولا يؤخِّرُ تحصيلَ فائدةٍ تمكنُ منها، فإنَّ للتَّأخيرِ آفاتٍ؛ ولأنَّه إذا حصَّلها في الزَّمنِ الحاضرِ حصَّلَ في الثَّاني غيرَها، ويغتنمُ وقتَ فراغِه ونشاطِه وزمنَ عافيتِه وشرخَ شبابِه[٢] قبلَ عروضِ الموانعِ[٣].

وليحذرْ مِنْ نظرِ نفسِه بعينِ الكمالِ والاستغناءِ عن المشايخِ؛ فإنَّ ذلك عينُ الجهلِ والحمقِ، وقدْ قال سيِّدُ التَّابعينَ سعيدُ بنُ جبيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزالُ الرَّجلُ عالمًا ما تعلَّمَ، فإذا تركَ التَّعلُّمَ وظنَّ أنَّه قد استغنَى فهو أجهَلُ ما يكونُ»[٤].

والسَّابعُ: أن يلزمَ حلقةَ شيخِه في التَّدريسِ والإقراءِ إذا أمكنَ؛ فإنَّه لا يزيدُه إلَّا خيرًا وتحصيلًا وأدبًا وتفضيلًا، ويجتهدَ على مواظبةِ خدمتِه والمسارعةِ إليها فإنَّ ذلك يكسبُه شرفًا وتبجيلًا، ولا يقتصرَ في الحلقةِ على سماعِ درسِه فقط إذا أمكنَه، بل يعتنِي بسائرِ الدُّروسِ المشروحةِ ضبطًا وتعليقًا إن احتملَ ذهنُه ذلك، ويشاركُ أصحابَها حتَّى كأنَّ كلَّ درسٍ له، فإن عجزَ عن ضبطِ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٥)
(٢) وفي «المصباح»: وشرخ الشباب: أوله. أهـ
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٦)
(٤) المجموع شرح المهذب (٢٩/١)

جميعِها فليعتنِ بالأهمِّ فالأهمِّ منها(١).

وينبغِي أن يتذاكرَ الطلبةُ ما وقعَ في مجلسِ الشَّيخِ من الفوائدِ والضَّوابطِ والقواعدِ وغيرِ ذلك، وأن يعيدَ كلامَ الشَّيخِ فيما بينهم؛ فإنَّ للمذاكرةِ نفعًا عظيمًا. قال الخطيبُ البغداديُّ: «وأفضلُ المذاكرةِ مذاكرةُ اللَّيلِ، وقد كانَ جماعةٌ من السَّلفِ يبدؤنَ في المذاكرةِ من العشاءِ فربَّما لم يقومُوا حتَّى يسمعُوْا أذانَ الصُّبحِ»(٢).

فإذا لم يجدِ الطَّالبُ من يذاكرُه ذاكرَ نفسَه بنفسِه، وكرَّرَ معنَى ما سمعَه ولفَظَه على قلبِه ليعلقَ ذلك على خاطرِه؛ فإنَّ تكرارَ المعنَى على القلبِ كتكرارِ اللَّفظِ على اللِّسانِ سواءً بسواءٍ، وقلَّ أن يفلحَ مَنْ اقتصرَ على التَّفكُّرِ والتَّعقُّلِ بحضرةِ الشَّيخِ خاصةً ثم يتركُه ويقومُ ولا يعاودُه(٣).

والثَّامنُ: إذا حضرَ مجلسَ الشَّيخِ يسلِّمُ على الحاضرِينَ بصوتٍ يسمعُ جميعَهم إسماعًا محقَّقًا ويخصُّ الشَّيخَ بزيادةِ تحيَّةٍ وإكرامٍ، وكذلك يسلِّمُ إذا انصرفَ، وإذا سلَّمَ فلا يتخطَّى رقابَ الحاضرِينَ إلى قربِ الشَّيخِ، بل يجلسُ حيثُ انتهَى به المجلسُ إلا أن يصرِّحَ له الشَّيخُ والحاضرونَ بالتَّقدُّمِ والتَّخطِّي أو يعلمَ مِن حالِهم إيثارَ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٧)

(٢) المجموع شرح المهذب (٣٨/١)، كتاب الفقيه والمتفقه (٢٦٨/٢)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٧)، الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد (٢٨١/٢)

ذلك فلا بأسَ(١).

ولا يقيمُ أحدًا من مجلسِه أو يزاحمُه قاصدًا، فإنْ آثرَ الغيرُ بمجلسِه لم يقبلْه إلَّا أن يكونَ في ذلك مصلحةٌ يعرفُها القومُ وينتفعُونَ بها من بحثِه مع الشَّيخِ عند قربِه منه أو لكونِه كبيرَ السِّنِّ أو كثيرَ الفضيلةِ أو الصَّلاحِ(٢).

ولا يجلسُ وسطَ الحلقةِ ولا قدامَ أحدٍ إلا عندَ الضَّرورةِ ولا بينَ صاحبَينِ إلَّا برضاهما ولا فوقَ مَنْ هو أولَى منه، ويجتمعُ الرُّفقاءُ في درسٍ واحدٍ أو دروسٍ في جهةٍ واحدةٍ ليكون كلامُ الشَّيخِ إليهم جميعًا عندَ الشَّرحِ(٣).

والتَّاسعُ: أن لا يستحيَ من سؤالِ مَا أشكلَ عليه وتفهُّمِ ما لم يعقلْه بتلطُّفٍ وحسنِ خطابٍ وأدبٍ وسؤالٍ.

وقدْ قيلَ: «منْ رقَّ وجهُه عن السُّؤالِ ظهرَ نقصُه عندَ اجتماعِ الرِّجالِ»(٤).

وقالَ مجاهدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يتعلَّمُ العلمَ مستحيٍ ولا متكبرٍ»(٥).

وقالتْ عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «رحمَ اللهُ نساءَ الأنصارِ لم يكنِ الحياءُ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٨)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٨)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١١٩)
(٤) المجموع شرح المهذب (٣٧/١)
(٥) رواه البخاري معلقا عن مجاهد في «باب الحياء في العلم» (٤٧/١)

يمنعُهنَّ في الدِّينِ»(١).

وقالتْ أمُّ سليمٍ لرسولِ اللهِ ﷺ: «أن لا يستحيَ عن الحقِّ، هلْ على المرأةِ منْ غسلٍ إذَا هي احتلمَتْ؟»(٢).

ولا يسألُ عن شيءٍ في غيرِ موضعِه إلَّا لحاجةٍ أو علمٍ بإيثارِ الشَّيخِ ذلك، وإذا سكتَ عنِ الجوابِ لم يلحَّ عليه وإن أخطأَ في الجوابِ فلا يرُدَّ في الحالِ، وكما ينبغِي للطَّالبِ أن لا يستحييَ منَ السُّؤالِ فكذلك لا يستحيِي من قولِه: «لا أفهمُ» إذا سألَه الشَّيخُ: «هل فهمتَ؟» وهو لا يفهمُ(٣).

والعاشرُ: أن يراعيَ نوبتَه فلا يتقدَّمُ عليها بغيرِ رضا مَن هي له، رويَ أنَّ أنصاريًّا أتَى رسولَ اللهِ ﷺ يسألُه وجاءَ بعدَه رجلٌ من ثقيفٍ يسألُه، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «يَا أَخَا ثَقِيفٍ، إِنَّ الْأَنْصَارِيَّ قَدْ سَبَقَكَ بِالْمَسْأَلَةِ فَاجْلِسْ كَيْمَا نَبْدَأَ بِحَاجَةِ الْأَنْصَارِيِّ قَبْلَ حَاجَتِكَ»(٤).

قالَ الخطيبُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يستحبُّ للسابقِ أن يقدِّمَ على نفسِه من كان غريبًا لتأكُّدِ حرمتِه»(٥).

وكذلك إذا كانَ للمتأخِّرِ حاجةٌ ضروريَّةٌ وعلمَها المتقدِّمُ؛

---

(١) رواه البخاري معلقا عن عائشة في «باب الحياء في العلم» (٤٧/١)
(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٢) بلفظ «من الحق».
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢١)
(٤) الروض الفائق (٧٧)
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٤٧١/١)

فإنَّه يؤثرُه أو أشارَ الشَّيخُ بتقدُّمِه لمصلحةٍ رآها فيستحبُّ إيثارُه، ويحصلُ تقدُّمُ النَّوبةِ بتقدُّمِ الحضورِ في مجلسِ الشَّيخِ أو إلى مكانِه، ولا يسقطُ حقُّه بذهابِه إلى ما يضطرُّ له كقضاءِ حاجةٍ وتجديدِ وضوءٍ إذا عادَ بعدَه، وإذا سبقَ اثنانِ وتنازعَا أقرعَ بينَهما أو قدَّمَ الشَّيخُ أحدَهما إن كان متبرِّعًا(١).

والحادِي عشرَ: أن يكونَ جلوسُه بينَ يدَيِ الشَّيخِ على ما تقدَّمَ تفصيلُه وهيئاتُه في أدبِه معَ شيخِه، ويحضرَ كتابَه الذي يقرأُ منه معَه، ويحملَه بنفسِه ولا يضعَه على الأرضِ حالَ القراءةِ مفتوحًا، بل يحملُه بيدِه، ولا يقرأُ منه إلا بعدَ استئذانٍ من الشَّيخِ، ولا يقرأُ عند شغلِ قلبِ الشَّيخِ أو مللِه أو غضبِه أو غمِّه أو نحوِ ذلك(٢).

فإذا أذنَ له الشَّيخُ استعاذَ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ثم يسمِي اللهَ ويحمدُه ويصلِّي ويسلِّمُ على النَّبيِّ ﷺ وعلى آلِه وصحبِه، ثم يدعُو للشَّيخِ ولوالدَيْه ولمشايخِه ولنفسِه ولسائرِ المسلمِينَ، ويترحَّمُ على مصنِّفِ الكتابِ عندَ قراءتِه، وإذا دعا الطَّالبُ للشَّيخِ قال: «رضيَ اللهُ عنكم» أو «عن شيخِنا» أو «عن إمامِنا» أو نحوَ ذلك، ويقصدُ به الشَّيخُ.

وإذا فرغَ من الدَّرسِ دعا للشَّيخِ أيضا، فإن تركَ الطَّالبُ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٢)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٢)

الاستفتاحَ بما ذكرَ جهلًا أو نسيانًا نبَّهَه عليه وعلَّمَه إياه وذكَّرَه به فإنَّه من أهمِّ الآدابِ(١).

الثَّاني عشرَ: أن يثبتَ على كتابٍ حتَّى لا يتركَه أبترَ، وعلى فنٍّ حتَّى لا يشتغلَ بفنٍّ آخرَ قبلَ أن يتقنَ الأوَّلَ، وعلى بلدٍ حتَّى لا ينتقلَ إلى بلدٍ آخرَ من غيرِ ضرورةٍ، فإنَّ ذلك يفرِّقُ الأمورَ ويشغلَ القلبَ ويضيِّعَ الأوقاتِ(٢).

وأن يكونَ متوكِّلًا، فلا يهتمُّ بأمرِ الرِّزقِ ولا يشغلُ قلبَه بذلك، وأن لا ينازعَ أحدًا ولا يخاصمَه؛ فإنَّه يضيِّعُ الأوقاتَ ويورثُ الحقدَ والحسدَ والبغضاءَ(٣).

ويجتنبُ عن مجالسةِ المكثارِ وأهلِ الفسادِ والمعاصِي والبطالةِ، فإنَّ المجاورةَ مؤثِّرةٌ لا محالةَ، وأن يجلسَ مستقبلَ القبلةِ، وأن يستنَّ بسنَّةِ رسولِ الله ﷺ، ويغتنمَ دعوةَ أهلِ الخيرِ ويحترزَ عن دعوةَ المظلومِ وعن الغيبةِ، و أن يكثرَ الصَّلاةَ، وأن يصليَ صلاةَ الخاشعِينَ(٤).

والثَّالثَ عشرَ: أن يرغِّبَ الطَّلبةَ في التَّحصيلِ، ويدلَّهم على مظانِّ الاشتغالِ والفائدةِ، ويصرفَ عنهم الهمومَ المشغلةَ عنه،

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٣-١٢٤)
(٢) تعليم المتعلم (٤٠)
(٣) تعليم المتعلم (٨٥)
(٤) تعليم المتعلم (٩٧)

ويهوِّنَ عليهم مؤنتَه، ويذكرُ لهم مَا استفادَه من القواعدِ والغرائبِ على جهةِ النَّصيحةِ والمذاكرةِ، فبذلك يستنيرُ قلبُه، ويباركُ له في علمِه ويعظمُ ثوابُه، ومن بخلَ بذلك فلا يثبتَ معه، وإن ثبتَ لم يثمرْ، وقد جرَّبَ ذلك جماعةٌ من السَّلفِ، ولا يفتخرُ عليهم أو يعجبُ بجودةِ ذهنِه، بل يحمدُ اللهَ تَعَالَىٰ ويستزيدُ منه بدوامِ شكرِه(١).

ويكرمُهم بإفشاءِ السَّلامِ وظهورِ المودَّةِ والاحترامِ، ويراعِي لهم حقَّ الصُّحبةِ والأخوَّةِ في الدِّينِ والحرفةِ؛ فإنَّهم أهلُ العلمِ وحملتُه وطلَّابُه، ويتغافلُ عن تقصيرِهم ويغفرُ زللَهم ويسترُ عوراتِهم ويشكرُ محسنَهم ويتجاوزُ عن مسيئِهم(٢).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٤)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٤٢)

الباب الخامس

في آدابِ العالِمِ في حقِّ نفسِه

وفيه عشرونَ أدبًا:

الأَوَّلُ: أن يديمَ مراقبةَ اللهِ تَعَالَىٰ في السِّرِّ والعلانيةِ(١).

والثَّانِي: أن يلازمَ خوفَه تَعَالَىٰ في جميعِ حركاتِه وسكناتِه وأقوالِه وأفعالِه، فإنَّه أمينٌ على ما استودعَ فيه من العلومِ والحكمةِ والخشيةِ، وتركُ ذلك من الخيانةِ، وقدْ قالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧](٢).

والثَّالثُ: أن يلازمَ السَّكينةَ.

والرَّابعُ: أن يلازمَ الورعَ.

والخامسُ: أن يلازمَ التَّواضعَ.

والسَّادسُ: أن يلازمَ الخشوعَ لله تَعَالَىٰ(٣).

ومما كتبَ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الرشيدِ: «إذا علمتَ علمًا فَلْيُرَ

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٨)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٨)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٨)

عليك أثرُه ووقارُه وسكينتُه وحلمُه[١] لقوله ﷺ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»[٢].

وقال عمرُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلَّموا العلمَ وتعلَّموا معه السكينةَ والوقارَ»[٣].

وقال بعضُ السَّلفِ: «حقٌّ على العالِمِ أن يتواضعَ لله تَعَالَىٰ في سرِّه وعلانيتِه، ويحترزَ من نفسِه، ويقفَ عما أشكلَ عليه»[٤].

والسَّابعُ: أن يكونَ تعويلُه في جميعِ أمورِه على اللهِ تَعَالَىٰ[٥].

والثَّامنُ: أن لا يجعلَ علمَه سُلَّمًا يتوصَّلُ به إلى الأغراضِ الدنيويَّةِ من جاهٍ أو مالٍ أو سمعةٍ أو شهرةٍ أو خدمةٍ أو تقدُّمٍ على أقرانِه[٦].

والتَّاسعُ: أن لا يعظِّمَ أبناءَ الدُّنيَا بالمشيِ إليهم والقيامِ لهم إلَّا إذا كان في ذلك مصلحةٌ تزيدُ على هذه المفسدةِ، لا سيَّما أن يذهبَ بعلمِه إلى مكانِ مَنْ يتعلَّمُ منه وإن كان المتعلِّمُ كبيرَ القدرِ، بل يصوُن علمَه كما صانَه السلفُ الصالحُ، وأخبارُهم في ذلك

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٨)
(٢) تقدم تخريجه صحيفة (١٥)
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣٤٢/٦)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٩)
(٥) التبيان (٢٣)
(٦) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٩)

مشهورةٌ مع الخلفاءِ وغيرِهم[(١)]؛

كما رويَ عن مالكٍ ابنِ أنسٍ أنَّه قال: «دخلتُ على هارونَ الرشيدِ، فقال لي: يا أبا عبدِ اللهِ ينبغِيْ أن تختلفَ إلينا حتى يسمعَ صبيانُنا الموطأَ، قال قلتُ: أعزَّ اللهُ الأميرَ إنَّ هذا العلمَ منكم خرجٌ، فإنْ أنتم أعززْتموه عزَّ، وإن ذلَّلتموه ذلَّ، والعلمُ يؤتَى ولا يأتِي، فقال: صدقتَ، اخرجُوْا إلى المسجدِ حتى تسمَعُوا مع النَّاسِ»[(٢)].

وقال الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هوانٌ بالعلمِ أن يحملَه العالمُ إلى بيتِ المتعلّمِ»[(٣)].

فإن دعتْ إلى ذلك ضرورةٌ أو اقتضتْه مصلحةٌ راجحةٌ على مفسدةِ ابتذالِه فلا بأسَ ما دامَتِ الحالُ هذه، وعلى هذا يحملُ ما جاءَ عن بعضِ السَّلفِ في هذا وبالجملةِ: مَنْ أجلَّ العلمَ أجلَّ اللهُ ومَنْ أهانَه أهانَه اللهُ، وهذا معاينٌ[(٤)].

وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: «كان العلماءُ قبلَنا قد استغنَوْا بعلمِهم عن دنيَا غيرِهم رغبةً في علمِهم فأصبحَ أهلُ العلمِ اليومَ يبذلُونَ لأهلِ الدُّنيَا علمَهم رغبةً في دنيَاهم، فأصبحَ أهلُ الدنيَا قد زهِدوا

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٩)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٩)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٩)

(٤) مسلك الأتقياء ومنهج الأصفياء (٢٣٢)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٩)

في علمِهم لِمَا رأَوْا من سوءِ موضعِه عندَهم»[١].

ولقد أحسنَ القاضي أبو الحسنِ الجرجانيُّ حيث قال:
{الطويل}

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا
بَـدَا طَـمَـعٌ صَـيَّـرْتُـهُ لِـيَ سُـلَّـمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِيْ
لِأَخْـدِمَ مَـنْ لَاقَـيْـتُ لَـكِـنْ لِأُخْـدَمَ
أَأَغْـرِسُـهُ عِـزًّا وَأَجْـنِـيْـهِ ذِلَّـةً
إِذًا فَـاتِّـبَـاعُ الْـجَـهْـلِ قَـدْ كَـانَ أَسْلَمَا
وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الْعِلْمِ صَـانُـوْهُ صَانَهُمْ
وَلَـوْعَـظَّـمُـوْهُ فِـي الـنُّـفُـوْسِ لَعُظِّمَا
وَلَـكِـنْ أَهَـانُـوْهَ فَـهَـانَ وَدَنَّـسُـوْا
مُـحَـيَّاهُ بِـالْأَطْـمَـاعِ حَـتَّـى تَجَهَّمَا[٢]

والعاشرُ-أن يتخلَّق بالزُّهدِ في الدُّنيَا والتَّقلُّلِ منها بقدرِ الإمكانِ الذي لا يضرُّ بنفسِه أو بعيالِه على الوجهِ المعتدلِ من القناعةِ[٣].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٩)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٤٩)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٠)

وأقلُّ درجاتِ العالمِ أن يستقذرَ التعلُّقَ بالدُّنيَا لأنَّه أعلمُ بخستِها وفتنتِها وسرعةِ زوالِها وكثرةِ تعبِها، فهو أحقُّ بعدمِ الالتفاتِ إليها والاشتغالِ بهمومِها(١).

ورويَ عنه ﷺ: «عزَّ مَنْ قنعَ وَذَلَّ مَنْ طمِعَ»(٢).

وعن الشَّافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو أوصَى لأعقلِ النَّاسِ صرفَ إلى الزُّهَّادِ»، فليتَ شعرِيْ مَنْ أحقُّ منَ العلماءِ بزيادةِ العقلِ وكمالِه(٣).

وقال يحيى بنُ معاذٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو كانتِ الدُّنيَا تبرًا يفنَى والآخرةُ خزفًا يبقَى، لكان ينبغِي للعاقلِ إيثارُ الخزفِ الباقِي على التبرِ الفانِي، فكيفَ والدُّنيَا خزفٌ فانٍ، والآخرةُ تبرٌ باقٍ(٤).

وحقيقٌ لمن علمَ أن المالَ متروكٌ لوارثٍ، ومصابٌ بحادثٍ، أن يكونَ زهدُه فيها أقوَى من رغبتِه، وتركُه أكثرُ من طلبِه»(٥).

والحادي عشرَ: أن يتباعدَ عن دنيءِ المكاسبِ ورذيلتِها طبعًا، وعن مكروهِها عادةً وشرعًا، كالحجامةِ والدِّباغةِ والصَّرفِ والصِّياغةِ ونحوِ ذلك(٦).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٠)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٠)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٠)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٠)
(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٠)
(٦) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥١)

والثَّانِي عشرَ: أن يجتنبَ مواضعَ التُّهمِ وإن بعدَتْ، فلا يفعلُ شيئًا يتضمنُ نقصَ مروءةٍ أو يستنكرُ ظاهرًا، وإن كان جائزًا باطنًا؛ فإنَّه يعرِّضُ نفسَه للتُّهمةِ وعرَّضَه للوقيعةِ ويوقعُ النَّاسَ في الظُّنونِ المكروهةِ وتأثيمِ الوقيعةِ؛ فإن اتَّفقَ شيءٌ من ذلك لحاجةٍ أو نحوِها أخبرَ مَنْ شاهدَه بحكمِه وبعذرِه ومقصودِه؛ كيلا يأثَمَ بسببِه أو ينفرَ عنه فلا ينتفعُ بعلمِه وليستفيدَ الجاهلُ به؛ ولذا قال النَّبيُّ ﷺ لرجلَينِ رأيَاه يتحدَّثُ مع صفيَّةَ ثم أجازَا: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ»، ثم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَخِفْتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا فَتَهْلِكَ»(١).

والثَّالثَ عشرَ: أن يحافظَ على القيامِ بشعائرِ الإسلامِ وظواهرِ الأحكامِ كإقامةِ الصَّلاةِ في مساجدِ الجماعةِ، وإفشاءِ السَّلامِ للخواصِّ والعوامِّ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ مع الصَّبرِ على الأذَى، صادعًا بالحقِّ عندَ الكبراءِ باذلًا نفسَه للهِ تَعَالَىٰ لا يخافُ فيه لومةَ لائمٍ، ذاكرًا قولَه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧]. وما كان رسولُ اللهِ ﷺ وغيرُه من الأنبياءِ عليه من الصَّبرِ على الأذَى(٢)، وما كانُوا يتحمّلونَه في اللهِ تَعَالَىٰ من إنكارِ أتباعِهم عليهم مثلُ قصصِ آدمَ مع بنيه، وشيثٍ مع

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥١)

قومِه، ونوحٍ وهودٍ وصالحٍ مع قومِهم، وإبراهيمَ مع نمروذَ وأبِيْه، ويعقوبَ مع بنيْه، ويوسفَ مع إخوتِه، وأيُّوبَ وما ابتليَ به، وموسَى مع بنِي إسرائيلَ بعدَ ما نجَوْا من البحرِ، وعيسَى معَ أصحابِ المائدةِ، ومحمدٍ ﷺ مع قومِه، ثم معَ أصحابِه في يومِ الحديبيةِ ويومِ القسمةِ، حتى قال: «رَحِمَ اللهُ أَخِي مُوْسَى لَقَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»، ثم ما جرَى لأبِي بكرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدَ وفاةِ النَّبيِّ ﷺ معَ الصَّحابةِ خاصةً، ثم مع أهلِ الرِّدَّةِ، ثم ما جرَى للصَّحابةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من مقاساةِ أجلافِ النَّاسِ على كثرةِ اختلافِ المقاصدِ، ثم التَّابعينَ وتابعِيْهم إلى يومِنَا هذَا، فله فيهم أسوةٌ حسنةٌ[(١)].

والرَّابعَ عشرَ: أن يقومَ بإظهارِ السُّننِ وإماتةِ البدعِ وبأمورِ الدِّينِ وما فيه مصالحُ المسلمِينَ على الطَّريقِ المعروفِ شرعًا المألوفِ عادةً وطبعًا، ولا يرضَى من أفعالِه الظَّاهرةِ والباطنةِ بالجائزِ منهما، بل يأخذَ نفسَه بأَحسنِهما وأكملِهما، فإنَّ العلماءَ هم القدوةُ وإليهم المرجعُ في الأحكامِ، وهم حجةُ اللهِ على العوامِّ، وقد يراقبُهم الآخذُ عنهم من حيثُ لا ينظرُونَ، ويقتدِي بهُداهم[(٢)] مَنْ لا يعلمونَ، فإذا لم ينتفعْ العالمُ بعلمِه فغيرُه أبعدُ منَ الانتفاعِ به، ولهذا عظمتْ زلَّةُ العالمِ لما يترتَّبُ عليها من المفاسدِ لاقتداءِ النَّاسِ به[(٣)].

---

(١) العطية الهنية والوصية المرضية (٨)

(٢) في تذكرة السامع «بهديهم» (٥٢)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٢)

والخامسَ عشرَ: أن يحافظَ على المندوباتِ الشَّرعيَّةِ القوليَّةِ والفعليَّةِ، فيلازمُ تلاوتَه القرآنَ وذكرَ الله تَعَالَىٰ بالقلبِ واللِّسانِ، وكذلك ما وردَ من الدَّعواتِ والأذكارِ في اللَّيلِ والنَّهارِ ومن الصَّلاةِ والصِّيامِ وحجِّ البيتِ الحرامِ مَهْما قدرَ على ذلك، والصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ ومحبَّتِه وإجلالِه وتعظيمِه والأدبِ عند سماعِ اسمِه وذكرِ سننِه(١).

والسَّادسَ عشرَ: أن يعاملَ النَّاسَ بمكارمِ الأخلاقِ من طلاقةِ الوجهِ وإفشاءِ السَّلامِ وإطعامِ الطَّعامِ وكظمِ الغيظِ، وكفِّ الأذَى عن النَّاسِ واحتمالِه منهم، والإيثارِ وتركِ الاستئثارِ، والإنصافِ وتركِ الاستنصافِ وشكرِ التَّفضُّلِ وإيجادِ الرَّاحةِ والسَّعيِ في قضاءِ الحاجةِ، وبذلِ الجاهِ في الشَّفاعةِ، والتَّلطُّفِ بالفقراءِ، والتَّحبُّبِ إلى الجيرانِ والأقرباءِ والرِّفقِ بالطَّلبةِ وإعانتِهم وبرِّهم(٢).

وإذا رأَى من لا يتمُّ صلاتَه وطهارتَه أو شيئًا من الواجباتِ أرشدَه بتَلَطُّفٍ ورفقٍ كما فعلَ النَّبيُّ ﷺ مع الأعرابيِّ الَّذي بالَ في المسجدِ(٣) ومع معاويةَ بنِ الحكمِ حينَ تكلَّمَ في الصَّلاةِ(٤).

والسَّابعَ عشرَ: أن يطهِّرَ باطنَه ثم ظاهرَه من الأخلاقِ الرَّديئةِ،

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٢)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٤)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٤)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٤)

ويعمِّرَه بالأخلاقِ المرضيَّةِ.

فمن الأخلاقِ الرَّديئةِ: الغلُّ والحسدُ والبغيُ والغضبُ لغيرِ اللهِ تَعَالَىٰ والغشُّ والكبرُ والرِّياءُ والعجبُ والسُّمعةُ و البخلُ والبطرُ والطمعُ والخيلاءُ والتَّنافسُ في الدُّنيَا والمباهاةُ والمداهنةُ والتَّزيُّنُ للنَّاسِ وحبُّ المدحِ بما لم يفعلْ والعمَى عن عيوبِ النَّفسِ والاشتغالُ عنها بعيوبِ الخلقِ والحميَّةُ والعصبيَّةُ لغيرِ اللهِ تَعَالَىٰ والغيبةُ والنميمةُ والبهتانُ والكذبُ والفحشُ في القولِ واحتقارُ النَّاسِ، فالحذرَ الحذرَ من هذه الصِّفاتِ الخبيثةِ والأخلاقِ الرَّذيلةِ؛ فإنَّها بابُ كلِّ شرٍّ، بل هي الشَّرُّ كلُّه[1].

وقد بليَ بعضُ أصحابِ النُّفوسِ الخبيثةِ من فقهاءِ الزَّمانِ وعلمائِه بكثيرٍ من هذه الصِّفاتِ إلَّا مَنْ عصمَه اللهُ تَعَالَىٰ، لا سيَّما الحسدَ والعجبَ والرِّياءَ والتَّكبُّرَ.

وأدويةُ هذه الأمراضِ مستوفاةٌ في كتبِ الرَّقائقِ، فمن أرادَ تطهيرَ نفسِه منها فعليه بتلك الكتبِ، ومِنْ أنفعِها وألطفِها كتابُ «بداية الهدايةِ» للإمامِ الغزاليِّ رحمه اللهُ تَعَالَىٰ.

ومن أدويةِ الحسدِ الفكرُ بأنَّه اعتراضٌ على اللهِ تَعَالَىٰ في حكمتِه المقتضيةِ تخصيصَ المحسودِ بالنِّعمةِ مع ما فيه من تعبِ القلبِ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٤-٥٥)

وتعذيبِه بما لا ضررَ فيه على المحسودِ[١].

ومن أدويةِ العجبِ تذكُّرُ أنَّ علمَه وفهمَه وجودةَ ذهنِه وفصاحتَه وغيرَ ذلك من النِّعمِ فضلٌ من اللهِ تَعَالَىٰ عليه وأمانةٌ لدَيْه ليرعَاها حقَّ رعايتِها، وأنَّ معطِيَها إيَّاه قادرٌ على سلبِها منه في طرفةِ عينٍ، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: ٢٠]، ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩][٢].

ومن أدويةِ الرِّياءِ الفكرُ بأنَّ الخلقَ كلَّهم لا يقدرُونَ على نفعِه بما لم يقضِه اللهُ له ولا على ضررِه بما لم يقدِّرْه اللهُ عليه فلِمَ يحبطُ عملَه ويضرُّ دينَه ويشغلُ نفسَه بمراعاةِ مَنْ لا يملكُ له في الحقيقةِ نفعًا ولا ضرًا مع أنَّ اللهَ يطلعُهم على نيَّتِه وقبحِ سريرتِه[٣]؛ كما صحَّ في الحديثِ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، ومَنْ رَاءَى راءَى اللهُ بِهِ»[٤].

ومن أدويةِ احتقارِ النَّاسِ تدبُّرُ قولِه تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١] -الآية، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ -إلى قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٥)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٥)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٦)
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ [النجم: ٣٢]. فربَّما كان المحتقرُ أطهرَ قلبًا عندَ اللهِ وأزكَى عملًا وأخلصَ نيَّةً، كما قيل: {الكامل}

لَا تَـحْـتَـقِرْ فِـي الْـعَـالَـمِـيْـنَ أَقَـلَّـهُـمْ

فَـلَـرُبَّـمَـا كَـانَ الْـحَـقِـيْـرُ أَجَـلَّـهُـمْ[١]

ويقال: «أنَّ اللهَ أخفَى ثلاثةً في ثلاثةٍ: وليَّه في عبادِه، ورضَاه في طاعتِه، وغضبَه في معاصِيه»[٢].

ومن الأخلاقِ المرضيَّةِ: إكثارُ التَّوبةِ والإخلاصُ واليقينُ والتَّقوَى والصَّبرُ والرِّضَا والقناعةُ والزُّهدُ والتَّوكُّلُ والتَّفويضُ وحسنُ السَّريرةِ وحسنُ الظَّنِ والتَّجاوُزُ وحسنُ الخلقِ ورؤيةُ الإحسانِ وشكرُ النِّعمةِ والشَّفقةُ على خلقِ اللهِ والحياءُ من اللهِ تَعَالَىٰ ومن النَّاسِ والخوفُ والرَّجاءُ، ومحبَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ هي الخصلةُ الجامعةُ لمحاسنِ الصِّفاتِ كلِّها[٣].

وإنَّما تتحقَّقُ بمتابعتِه ﷺ لقولِه تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١].

والثَّامنَ عشرَ: أن يديمَ الحرصَ على ازديادِ العلمِ والعملِ بملازمةِ الجدِّ والاجتهادِ والمواظبةِ على وظائفِ الأورادِ من العبادةِ،

---

(١) حاشية الترمسي (٢٩٨/٦)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٦)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٧)

قراءةً وإقراءً ومطالعةً ومذاكرةً وتعليقًا وحفظًا وبحثًا، ولا يضيِّعُ شيئًا من أوقاتِ عمرِه في غيرِ ما هو بصددِه من العلمِ والعملِ إلَّا مَا لا بدَّ منه بقدرِ الضَّرورةِ من أكلٍ وشربٍ أو نومٍ أو استراحةٍ لمللٍ أو أداءِ حقِّ زوجةٍ أو زائرٍ أو تحصيلِ قوتٍ مما يحتاجُ إليه أو لألمٍ أو غيرِه مما يتعذرُ معه الاشتغالُ(١).

وكان بعضُهم لا يتركُ الدَّرسَ لعروضِ مرضٍ خفيفٍ، بل كان يستشفِي بالعلمِ ويشتغلُ به بقدرِ الإمكانِ، وقد قالَ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ»(٢)؛ لأنَّ درجةَ العلمِ درجةُ وراثةِ الأنبياءِ، ولا تنالُ المعالِي إلَّا بشقِّ الأنفسِ، وفي صحيحِ مسلمٍ عن يحيَى بنِ كثيرٍ قال: «لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ»(٣)، وفي الحديثِ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»(٤)،

وقيل شعرا: {الطويل}

تُـرِيْـدُوْنَ إِدْرَاكَ الْـمَعَـالِي رَخِيْصَةً
وَلَا بُدَّ دُوْنَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ(٥)

وقال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقٌّ على أهلِ العلمِ بلوغُ غايةِ جهدِه

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٧)
(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥٣) (٣) أخرجه مسلم (٦١٢)
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٥) ديوان المتنبي (٥٢٠)، بلفظ «تريدين»، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٨)

في الاستكثارِ من علمِه، والصَّبرُ على كلِّ عارضٍ دونَ طلبِه، وإخلاصُ النِّيَّةِ للهِ تَعَالَىٰ في إدراكِ علمِه نصًا واستنباطًا، والرَّغبةُ إلى اللهِ تَعَالَىٰ في العونِ عليه».

وقد قال ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ تَعَالَىٰ»(١).

والتَّاسعَ عشرَ: أن لا يستنكفَ عن استفادةِ ما لا يعلمُه ممَّن هو دونَه منصبًا أو نسبًا أو سنًّا، بل يكونُ حريصًا على الفائدةِ حيثُ كانَتْ؛ فإنَّ الحكمةَ ضالَّةُ المؤمنِ يلتقطُها حيثُ وجدَها.(٢)

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: «لا يزالُ الرَّجلُ عالمًا ما تعلَّمَ العلمَ، فإذا تركَ التَّعلُّمَ وظنَّ أنَّه قد استغنَى واكتفَى بما عندَه فهو أجهلُ مَا يكونُ»(٣).

وأنشدَ بعضُ العربِ: {الطويل}

وَلَيْسَ الْعَمَى طُوْلَ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا
تَمَامُ الْعَمَى طُوْلُ السُّكُوْتِ عَلَى الْجَهْلِ(٤)

وكان جماعةٌ من السَّلفِ يستفيدُونَ من طلبتِهم ما ليسَ عندَهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٩)
(٣) المجموع شرح المهذب (١/٢٩) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٩)
(٤) البيت لبشار بن برد في ديوانه (١/٩٨٢) بلفظ «شفاء العمى» بدل «ليس العمى»، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٩)

وصحَّ روايةُ جماعةٍ من الصَّحابة عن التَّابعينَ[١].

وأبلغُ من ذلك قراءةُ النَّبيِّ ﷺ على أبيٍّ بنِ كعبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: «أَمَرَنِي اللهُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة: ١]»[٢].

وقال العلماءُ: «مِن فوائدِه أنَّه لا يمتنِعُ الفاضلُ منَ الأخذِ عنِ المفضولِ»[٣].

وقال الحميديُّ وهو تلميذُ الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحبتُ الشَّافعيَّ من مكَّةَ إلى مصرَ فكنتُ أستفيدُ منه مسائلَ وكانَ يستفيدُ منِّي الحديثَ»[٤].

وقالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ قالَ: لنا الشَّافعيُّ: «أنتُم أعلمُ بالحديثِ منِّي، فإذَا صحَّ عندكُم الحديثُ فقولُوا لنَا حتَّى نأخذَ به»[٥].

والعشرونَ: أن يشتغلَ بالتَّصنيفِ والجمعِ والتَّأليفِ إن كانَ أهلًا لذلك؛ فإنَّه يطلعُ على حقائقِ الفنونِ ودقائقِ العلومِ للاحتياجِ إلى كثرةِ التَّفتيشِ والمطالعةِ والمراجعةِ[٦].

وهو كما قالَ الخطيبُ البغداديُّ: «يُثبتُ الحفظَ ويذكِّي القلبَ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٩)
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٩) ومسلم (٧٩٩) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٩)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٩)
(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٩)
(٦) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٥٩)

ويشحذُ الذِّهنَ ويجيدُ البيانَ ويكسبُ جميلَ الذِّكرِ وجليلَ الأجرِ ويخلدُ إلى آخرِ الدَّهرِ»(١).

والأولَى أن يعتنيَ بما يعمُّ نفعُه وتكثرُ الحاجةُ إليه، ويتركَ التَّطويلَ المملَّ والإيجازَ المخلَّ مع إعطاءِ كلِّ مصنَّفٍ ما يليقُ به، ولا يخرجُ تصنيفَه مِنْ عندِه قبلَ تهذيبِه وتكرارِ النَّظرِ فيه وترتيبِه.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ ينكرُ التَّصنيفَ والتَّأليفَ في هذا الزَّمانِ على مَن ظهرتْ أهليَّتُه وعرفَتْ معرفتُه، ولا وجهَ لهذا الإنكارِ إلا التَّنافسَ بينَ أهلِ الأعصارِ، وإلَّا فمَن تصرَّفَ في مدادِه وورقِه بكتابةِ ما يشاءُ من أشعارٍ أو حكاياتٍ مباحةٍ أو غيرِ ذلك لا ينكرُ عليه، فإذا تصرَّفَ فيهما بتسويدِ ما ينتفعُ به من علومِ الشَّرعِ وآلاتِها فأولَى أن لا ينكرَ عليه، أمَّا من لا يتأهَّلُ لذلك فالإنكارُ عليه متَّجهٌ لما يتضمَّنُه من الجهلِ وتغريرِ مَن يقفُ على ذلك التَّصنيفِ ولكونِه يضيِّعُ زمانَه فيما لم يتقنْه ويدعُ الإتقانَ الَّذي هو أحرَى له(٢).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٠)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٠)

الباب السادس

في آدابِ العالِمِ في دروسِه

إذا عزَم العالمُ أن يحضُرَ مجلسَ درسِه يتطهَّرُ من الحدثِ والخبَثِ، ويتنظَّفُ ويتطيَّبُ ويلبَسُ أحسنَ ثيابِه اللائقةِ بينَ أهلِ زمانِه، قاصدًا بذلك كلِّه تعظيمَ العلمِ وتبجيلَ الشَّريعةِ(١).

وينوِي بتعليمِه التَّقرُّبَ إلى اللهِ تَعَالَىٰ ونشرَ العلمِ الشَّريفِ وإحياءَ دينِ الإسلامِ، وتبليغَ أحكامِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّتي اؤتُمنَ عليها وأُمِرَ ببيانِها، والازديادَ من العلمِ بإظهارِ الصَّوابِ والرُّجوعِ إلى الحقِّ، والاجتماعَ على ذكرِ اللهِ تَعَالَىٰ، والسَّلامَ على إخوانِه المسلمينَ والدعاءَ للسَّلف الصَّالحينَ(٢).

وإذا خرَجَ من بيتِه دعا بالدُّعاءِ الواردِ عنِ النَّبيِّ ﷺ وهو: «اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهِلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلَا إِلهَ غَيْرُكَ»(٣).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦١)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦١-٦٢)

(٣) قال الزبيدي «رواه الطبراني في الكبير من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، إتحاف السادة المتقين (٤٦٢/٧)

ثُمَّ يقولُ: «بِسْمِ اللهِ، آمَنْتُ بِاللهِ اعْتَصَمْتُ بِاللهِ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ[(١)]، اللهم ثَبِّتْ جَنَانِي وَأَدِرِ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِي»، ويديمُ ذكرَ اللهِ تَعَالَى إلى أن يصلَ مجلِسَ التَّدريسِ[(٢)].

فإذا وصَلَ إليه يسلِّمُ على الحاضرينَ ويجلِسُ مستقبِلَ القبلةِ إن أمكنَ بوَقارٍ وسكينةٍ وتواضُعٍ و خشوعٍ متربِّعًا أو غيرَ ذلك منَ الجلساتِ الحسناتِ[(٣)].

ولْيصُنْ بدنَه عن الزَّحفِ عن مكانِه ويدَيْه عنِ العبَثِ والتَّشبيكِ وعينَيْه عن تفريقِ النَّظَرِ من غيرِ حاجةٍ، ولْيباعِدْ عنِ المِزاحِ وكثرةِ الضَّحكِ، فإنَّه يقلِّلُ الهيبةَ ويسقطَ الحشمةَ[(٤)].

ولا يدرِّس وقتَ جوعٍ وعطَشٍ شديدَينِ أو هَمٍّ أو غضَبٍ أو نعاسٍ أو في حالِ بردٍ مؤلِمٍ وحرٍّ مزعِجٍ[(٥)].

ويجلِسُ بارزًا لجميعِ الحاضرينَ ولْيوقِّرْ أفاضِلَهم بالعلمِ أو السِّنِّ أو الصَّلاحِ أو الشَّرفِ، ويرفعُهم على حسبِ تقديمِهم في الإمامةِ، ويتلطَّفُ بالباقينَ ويكرمُهم بحُسْنِ الكلامِ وطلاقةِ

---

(١) قال الزبيدي «رواه أحمد والمحاملي من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا»، إتحاف السادة المتقين (٤٦٢/٧)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٢)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٢)

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٣)

(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٣)

الوجهِ وحسنِ مزيدِ الاحترامِ، ويقومُ لأكابرِ أهلِ الإسلامِ على سبيلِ الإكرامِ(١).

ويلتفتُ إلى الحاضرينَ التِفاتًا قصدا بحسبِ الحاجةِ، ويخصُّ مَن يكلِّمُه أو يسألُه بمزيدِ التِفاتِ إليه و إقبالِ عليه، وإن كان صغيرًا أو وضيعًا، فإنَّ ترْكَ ذلك من أفعالِ المتكبِّرينَ.(٢)

ويقدِّمُ على الشُّروعِ في التدريسِ قراءةَ شيءٍ من كتابِ الله تَعَالَىٰ تبرُّكًا وتيمُّنًا، ويدعُو عقيبَ القراءةِ لنفسِه والحاضرينَ ولسائرِ المسلمينَ ولواقفِ مكانِه إن كان في مدرسةٍ موقوفةٍ أو نحوِها جزاءً لحُسنِ فعلِه وتحصيلًا لقصدِه(٣).

ثمَّ يستعيذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ويسمِّي اللهَ تَعَالَىٰ ويحمدُه، ويصلِّي على النَّبيِّ ﷺ وعلى آلِه وصحبِه، ويترضَّى عن أئمَّةِ المسلمينَ(٤).

وإن تعدَّدتِ الدُّروسُ قدَّم الأشرفَ فالأشرفَ والأهمَّ فالأهمَّ، فيقدِّم تفسيرَ القرآنِ ثم الحديثَ ثم أصولَ الدِّينِ ثم أصولَ الفقهِ ثم كتبَ المذهبِ ثم النَّحوَ، ويختِمُ الدَّرسَ بكتبِ رقائقَ ليُفيدَ

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٣)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٣)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٤)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٤)

الحاضرينَ تطهيرَ الباطنِ[١].

ويصلُ في درسِه ما ينبغِي وصلُه، ويقفُ في مواضعِ الوقفِ ومنقطَعِ الكلامِ، ولا يذكرُ شبهةً في الدِّينِ في درسٍ، ويؤخِّر الجوابَ عنها إلى درسٍ آخرَ، بل يذكرُهما جميعًا أو يدَعُهما جميعًا؛ لما فيه من المفسدةِ، لا سيَّما إن كان الدَّرسُ مَجمعَ الخواصِّ والعوامِّ[٢].

ولا يطيلُ الدَّرسَ تطويلًا مملًّا ولا يقتصرُ تقصيرًا مخلًّا، ويراعِي في ذلك مصلحةَ الحاضرينَ في الفائدةِ في التَّطويلِ، ولا يبحثُ في مقامٍ أو يتكلَّمُ على فائدةٍ إلا في موضعِ ذلك فلا يقدِّمُه عليه ولا يؤخِّرُه عنه إلا لمصلحةٍ تقتضِي ذلك[٣].

ولا يرفعُ صوتَه رفعًا زائدًا على قدرِ الحاجةِ، ولا يخفِضُه خفْضًا لا يحصُلُ معه كمالُ الفائدةِ، والأَولَى أن لا يجاوِزَ صوتُه مجلسَه ولا يقصُرَ عن سَماعِ الحاضرينَ، فقد روَى الخطيبُ البغداديُّ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الصَّوْتَ الْخَفِيْضَ الْخَفِيَّ وَيَكْرَهُ الصَّوْتَ الرَّفِيْعَ»[٤]، فإنْ حضَر فيهم ثقيلُ السَّمعِ فلا بأسَ برفعِ صوتِه بقدرِ ما يسمَعُه[٥].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٤)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٥)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٥)

(٤) رواه الخطيب البغدادي في الجامع برقم (٩٩٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلا زيادة لفظ «الخفي».

(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٦)

ولا يسرُدُ الكلامَ سردًا، بل يرتِّلُه ويتمهَّلُ فيه لِيتفكَّرَ فيه هو ومن يسمعُه. وقد وردَ أنَّ كلامَ النَّبيِّ ﷺ كان مفصَّلًا يفهمُه من يسمعُه، وكان إذا تكلَّمَ بكلمةٍ أعادَها ثلاثةً لتفهمَ عنه، وإذا فرغَ من مسألةٍ أو أصلٍ سكتَ قليلًا حتَّى يتكلَّمَ مَنْ في نفسِه كلامٌ عليه(١).

ويصونُ مجلسَه عن اللَّغطِ، فإنَّ اللغطَ يغيِّر اللَّفظَ، وعن رفعِ الأصواتِ واختلافِ جهاتِ البحثِ، قال الربيعُ: «كان الشَّافعيُّ إذا ناظرَه إنسانٌ في مسألةٍ فعدلَ إلى غيرِها يقولُ: نفرغُ من هذه المسألةِ ثم نصيرُ إلى ما تريدُ»، ويتلطَّفُ في ذلك في مبادِيه قبل انتشارِه وتولان(٢) النُّفوسِ.

ويذكرُ الحاضرينَ ما جاء في كراهيَّةِ المماراتِ لا سيَّما بعدَ ظهورِ الحقِّ، وأنَّ مقصودَ الاجتماعِ ظهورُ الحقِّ وصفاءُ القلوبِ وطلبُ الفائدةِ، وأنَّه لا يليقُ بأهلِ العلمِ تعاطِي المنافسةِ؛ لأنَّها سببُ العداوةِ والبغضاءِ، بل يجبُ أن يكونَ الاجتماعُ مقصودًا خالصًا للهِ تَعَالَىٰ، ليتمَّ الفائدةُ في الدُّنيَا والسَّعادةُ في الآخرةِ ويذكرُ قولَه تَعَالَىٰ: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٨]، فإنَّ ذلك يفهمُ أنَّ إرادةَ إبطالِ الحقِّ، وتحقيقِ الباطلِ

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٦)

(٢) في «شرح القاموس»: وتولى الشيء لزمه. وعن ابن معاذ النحوى: يقال تولاه اتبعه ورضي به ومنه، قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. اهـ.

صفةُ إجرامٍ، فليحذرْ منه[١].

وليبالغْ في زجرِ مَن تعدَّى في بحثِه، أو ظهرَ منه لددٌ أو سوءُ أدبٍ في بحثِه، أو تركَ الإنصافَ بعد ظهورِ الحقِّ، أو أكثرَ الصِّياحَ بغيرِ فائدةٍ، أو أساءَ أدبَه على غيرِه منَ الحاضرينَ أو الغائبينَ، أو ترفَّعَ في المجلسِ على مَنْ هو أولى منه، أو نامَ أو تحدَّثَ مع غيرِه أو ضحِكَ، أو استهزأَ بأحدٍ منَ الحاضرينَ أو أخلَّ بآدابِ الطَّالب في الحلقةِ[٢]، وقد تقدَّمَ ذكرُها في آدابِ المتعلِّمِ[٣].

وإذا سُئلَ عمَّا لم يعلمْه قال: «لا أعلم»، وعن بعضهم: «لا أدرِي نصفُ العلمِ».

وعن ابنِ عبَّاسٍ: «إذا أخطأَ العالمُ لا أدريْ أُصيبَتْ مقاتلُه»، قال محمدُ بنُ الحكمِ: «سألتُ الشَّافعيَّ عنِ المتعةِ، أكان فيها طلاقٌ أو ميراثٌ أو نفقةٌ تجبُ أو شهادةٌ؟، فقال: واللهِ ما ندرِي»[٤].

واعلمْ أنَّ قولَ المسئولِ «لا أدرِي» لا ينقُص من قدرِه كما يظنُّه الجهَلةُ بل يرفعُه؛ لأنَّه دليلٌ على عظيمِ معرفتِه وقوَّةِ دِينِه وتقوَى ربِّه وطهارةِ قلبِه وحسنِ ثبتِه، وقد رويَ ذلك عن جماعةٍ من السَّلفِ: وإنما يأنفُ من ذلك من ضعفَتْ دِيانتُه وقلَّت معرفتُه؛

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٦-٦٧)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٧)
(٣) ص: (٢٨)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٧)

لأنَّه يخافُ سقوطَه عن أعيُنِ الحاضرينَ، وهذا جهالةٌ ورقَّةُ دينٍ، وربَّما يشتهرُ خطؤُه بين النَّاسِ، فيقعُ فيما فرَّ عنه ويتَّصفُ عندَهم بما احترزَ عنه[١].

وقد أدَّبَ اللهُ تَعَالَىٰ العلماءَ بقصَّةِ سيِّدِنا موسَى على نبيِّنا وعليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مع الخضرِ عليه السَّلامُ حينَ لم يردَّ موسَى العلمَ إليه تَعَالَىٰ لمَّا سئِلَ: «هل أحدٌ في الأرضِ أعلمُ منك؟»[٢].

ويتودَّدُ لغريبٍ حضَر عنده، ويبسطُ له لينشرحَ صدرُه، فإنَّ للقادمِ دهشةً، ولا يكثرُ النَّظرَ إليه، فإنَّ ذلك يخجلُه[٣].

وإذا أقبلَ بعضُ الفضلاءِ وقد شرَعَ في مسألةٍ أمسكَ عنها حتَّى يجلسَ، وإن جاءَ وهو في مسألةٍ أعادَها له أو مقصودَها، وإذا أقبلَ فاضلٌ وقد بقيَ لفراغِه وقيامِ الجماعةِ بقيةٌ بقدرِ ما يصلُ الفاضلُ إلى المجلسِ تركَها لئلَّا يخجلَ المقبلُ بقيامِهم عند جلوسِه، ويراعِي مصلحةَ الجماعةِ في تقديمِ وقتِ الحضورِ وتأخيرِه إذا لم يكنْ عليه ضررٌ ولا مزيدُ كلفةٍ[٤].

ويقولُ بعدَ ختمِ كلِّ درسٍ: «واللهُ أعلمُ» بعدَ ما يقولُ قبلَ ذلك كلامًا يُشعرُ بختمِ الدَّرسِ كقولِه: «هذا آخرُه وما بعدَه يأتِي

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٨)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٨)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٩)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٩)

إن شاءَ اللهُ تَعَالَىٰ» ونحوِ ذلك ليكونَ «واللهُ أعلمُ» خالصًا لذكرِ اللهِ تَعَالَىٰ ولقصدِ معناه، وتقدَّمَ أنَّه يستفتحُ كلَّ درسٍ بـ«بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ» ليكونَ ذكرَ الله تَعَالَىٰ في بدايةِ الدَّرسِ وخاتمتِه(١).

ويمكُثُ قليلًا بعدَ قيامِ الحاضرينَ لما فيه منَ الفوائدِ والآدابِ له؛

منها: عدمُ مزاحمتِهم.

ومنها: إن كان في نفسِ أحدٍ بقايَا سؤالٍ سألَه.

ومنها: عدمُ ركوبِه بينَهم إن كان يركَبُ وغيرُ ذلك(٢).

وإذا أرادَ أن يقومَ دعا بما ورَد في الحديثِ، كفَّارةِ المجلسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٣).

ولا ينتصبُ للتَّدريسِ إذا لم يكنْ أهلًا له، ولا يذكرُ علمًا لا يعرِفُه؛ فإنَّ ذلك لعِبٌ في الدِّينِ وازدراءٌ بين النَّاسِ، قال ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»(٤).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٩)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٦٩-٧٠)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٠)

(٤) أخرجه البخاري (٥٢١٩) ومسلم (٢١٣٠) من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعن بعضِهم: «مَنْ تصدَّرَ قبلَ أوانِه فقدْ تصدَّى لهوانِه»[١].

وعن أبي حنيفةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن طلَبَ الرِّياسةَ من غيرِ حينِه لم يزَلْ في ذُلٍّ ما بقيَ»[٢].

وأقلُّ مفاسدِ ذلك أنَّ الحاضرينَ يَفقِدونَ الإنصافَ لعدمِ مَنْ يرجِعونَ إليه عندَ الاختلافِ، لأنَّ ربَّ الصَّدرِ لا يعلمُ المصيبَ فينصرَه والمخطئَ فيزجرَه[٣].

وقيلَ لأبي حنيفةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسجدِ حلقةٌ ينظُرونَ في الفقهِ، فقال: «أَلَهُمْ رأسٌ؟» قالوا: لا، قال: «لا يفقهُ هؤلاءِ أبدًا»[٤].

ولبعضِهم في تدريسِ مَنْ لا يصلُحُ له: {من بحر الطويل}

تَـصَـدَّرَ لِـلـتَّـدْرِيْـسِ كُـلُّ مُـهَـوَّسِ
جَـهُـوْلٍ يُسَـمَّـى بِـالْـفَـقِـيْـهِ الْـمُـدَرِّسِ
فَـحُـقَّ لِأَهْــلِ الْـعِـلْـمِ أَنْ يَـتَـمَـثَّـلُـوْا
بِبَـيْـتٍ قَـدِيْـمٍ شَـاعَ فِـيْ كُـلِّ مَجْلِسِ

---

(١) شذور الذهب في أخبار من ذهب من قول أبي الطيب الصعلوكي (٢٧).
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٠)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧١)
(٤) كتاب الفقيه والمتفقه برقم (٧٩٠)

لَقَدْ هُزِلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا
كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ (١)

(١) البيت لأبي الحسن الفالي كما في معجم الأدباء (٢٢٦/١٢) والمنتظم في تارخ الملوك والأمم (١٠/١٦).

الباب السابع

في آدابِ العالِمِ مع تلامذتِه

وفيه أربعةَ عشرَ نوعًا من الآدابِ

الأوَّلُ: أن يقصُدَ بتعليمِهم وتهذيبِهم وجهَ اللهِ تَعَالَىٰ ونشرَ العلمِ وإحياءَ الشَّرعِ ودوامَ ظهورِ الحقِّ وخمولِ الباطلِ ودوامَ خيرِ الأمَّةِ بكثرةِ علمائِها واغتنامَ ثوابِهم، وتحصيلَ ثوابِ مَنْ ينتهِي إليه علمُهم من بعدِهم وبركةِ دعاءِهم له وترحُّمِهم عليه، ودخولَه في سلسلةِ العلمِ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ وبينَهم وعدَّه في جملةِ مبلِّغِي وحيِ اللهِ تَعَالَىٰ وأحكامِه إلى خلقِه؛ فإنَّ تعليمَ العلمِ من أهمِّ أمورِ الدِّينِ وأعلَى درجاتِ المؤمنينَ.

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا يُصَلُّوْنَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»(١).

ولَعمرُك ما هذا إلا نصيبٌ جسيمٌ وأنَّ نيلَه لفوزٌ عظيمٌ اللهم لا تمنعْنا عنِ العلمِ بمانعٍ ولا تعقْنا عنه بعائقٍ، ونعوذُ بك من

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥) بزيادة لفظ « وحَتَّى الحوتَ ». من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قواطعِه ومكدِّراتِه وموجباتِ حرمانِه وفواتِه[١].

والثَّاني: أن لا يمتنعَ عن تعليمِ الطَّالبِ لعدمِ خلوصِ نيَّتِه؛ فإنَّ حسنَ النِّيَّة مرجوٌّ ببركةِ العلمِ، قال بعضُ السَّلفِ: «طلبْنا العلمَ لغيرِ اللهِ فأبَى العلمُ أن يكونَ إلا للهِ»، قيلَ معناه: فكانَ عاقبتُه أن صارَ لله؛ ولأنَّ إخلاصَ النِّيَّةِ لو شرِطَ في تعليمِ المبتدئينَ مع عسرِه على كثيرٍ منهم لأدَّى ذلك إلى تفويتِ العلمِ على كثيرٍ منَ النَّاسِ، ولكنَّ العالمَ يحرِّضَ المبتدئَ على حسنِ النِّيَّةِ بتدريجٍ قولًا وفعلًا[٢].

ويعرِّفُه أنَّه ببركةِ حسنِ النِّيَّة ينالُ الرُّتبةَ العليَّةَ من العلمِ والعملِ وفيضِ اللَّطائفِ وأنواعِ الحكمِ وتنويرِ القلبِ، وانشراحِ الصَّدرِ وإصابةِ الحقِّ وحسنِ الحالِ والتَّسديدِ في المقالِ وعلوِّ الدَّرجاتِ يومَ القيامةِ.

ويرغِّبُه في العلمِ وطلبِه في أكثرِ الأوقاتِ بذكرِ مَا أعدَّ الله تَعَالَى للعلماءِ من منازلِ الكرماتِ، فإنَّهم ورثةُ الأنبياءِ وعلى منابرَ مِنْ نورٍ يغبِطُهم[٣] الأنبياءُ والشُّهداءُ ونحوُ ذلك ممَّا ورَدَ في فضلِ العلمِ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٢)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٣)

(٣) وفي «المصباح»: الغبطة حسن الحال وهي اسم من غبطته غبطا، من باب ضرب إذا تمنيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه لما أعجبك منه وعظم عندك. اهـ

والعلماءِ من الآياتِ والأخبارِ والآثارِ والأشعارِ(١).

وقد ذكرتُ بعضَ ذلك في بابِ الأوَّلِ ويرغِّبُه مع ذلك بتدريجٍ على ما يُعِينُ على تحصيلِه من الاقتصارِ على الميسورِ، وقدرِ الكفايةِ من الدُّنيا عن شغلِ القلبِ بالتَّعلُّقِ بها وغلبةِ الفكرِ وتفريقِ الهمِّ بسببِها؛ فإنَّ انصرافَ القلبِ عن تعلُّقِ الأطماعِ بالدُّنيَا، والإكثارِ منها والتَّأسُّفِ على فائتِها أجمعُ لقلبِه وأروحُ لدِينِه وأشرفُ لنفسِه وأعلَى لمكانتِه وأقلُّ لحُسَّادِه وأجدرُ لحفظِ العلمِ وازديادِه. ولذا قَلَّ مَنْ نالَ من العلمِ نصيبًا وافرًا إلَّا مَنْ كان في مبادِي تحصيلِه على ما ذكرتُ من الفقرِ والقناعةِ والإعراضِ عن طلبِ الدُّنيَا وعرَضِها الفانِي(٢).

والثَّالثُ: أن يحِبَّ لطالبِه ما يحبُّ لنفسِه؛ كما وردَ في الحديثِ ويكرهُ له ما يكرهُ لنفسِه، ويعتنِي بمصالحِ الطالبِ، ويعاملُه بما يعاملُ أعزَّ أولادِه من الحنوِّ والشَّفقةِ عليه والإحسانِ إليه والصَّبرِ على جفَاه، وعلى ما وقعَ منه من نقصٍ لا يكادُ يخلُو الإنسانُ عنه وسوءِ أدبٍ في بعض الأحيانِ(٣).

ويبسطُ عذرَه بحسبِ الإمكانِ، ويوقفُه مع ذلك على ما صدرَ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٣)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٣)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٣-٧٤)

منه بنصحٍ وتلطُّفٍ لا بتعنيفٍ وتعسُّفٍ، ويقصدُ بذلك حسنَ تربيتِه وتحسينَ خلُقِه وإصلاحَ شأنِه؛ فإن عرَفَ ذلك لذكائِه بالإشارةِ فلا حاجةَ إلى صريحِ العبارةِ، وإن لم يفهَمْ ذلك إلا بصريحِها أتَى به، وراعَى التَّدريجَ والتلطُّفَ ويؤدِّبُه بالآدابِ السَّنيَّةِ، ويحرِّضُه على الأخلاقِ المرضيَّةِ، ويوصِيه بالأمورِ العرفيَّةِ(١) وعلى الأوضاعِ الشَّرعيَّةِ(٢).

والرَّابعُ: أن يسمحَ له بسهولةِ الإلقاءِ في تعليمِه وحسنِ التَّلفُّظِ في تفهيمِه، لا سيَّما إذا كان أهلًا لذلك لحسنِ أدبِه وجودةِ طلبِه وحرصِه على ضبطِ الفوائدِ وحفظِ النَّوادرِ، ولا يدَّخرُ عنه من أنواعِ العلومِ ما يسألُه وهو أهلٌ له؛ لأن ذلك ربَّما يوحشُ الصَّدرَ وينفِّرُ القلبَ ويورثُ الوحشةَ(٣).

وكذلك لا يلقِي إليه ما لم يتأهَّلْ له؛ لأن ذلك يُبرِدُ ذهنَه ويفرِّقُ فهمَه، وإن سألَه الطَّالبُ شيئًا من ذلك لم يُجبْه، ويعرِّفُه أن ذلك يضرُّه ولا ينفعُه وأنَّ منعَه إياه منه للشَّفقةِ عليه واللُّطفِ به لا لبخلٍ عليه، ثم يرغِّبُه عند ذلك في الاجتهادِ والتَّحصيلِ ليتأهَّل

---

(١) في «المصباح»: أمرت بالعرف- أي بالمعروف وهو الخير والرفق والإحسان. إهـ

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٤)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٤-٧٥)

لذلك وغيرِه[١].

وقد قال الامامُ البخاريُّ في تفسيرِ الرَّبَّانيِّ: «إنَّه الَّذي يربِّي النَّاسَ بصغارِ العلم قبلَ كبارِه».[٢]

والخامسُ: أن يحرصَ على تعليمِه وتفهيمِه ببَذْلِ جهدِه وتقريبِ المعنَى من غيرِ إكثارٍ لا يحتملُه ذهنُه أو بَسْطٍ لا يضبِطُه حفظُه، ويوضِّحُ لمتوقِّفِ الذِّهنِ العبارةَ فيه، ويحتسبُ إعادةَ الشَّرحِ له وتكرارَه.

ويبدأُه بتصويرِ المسائلِ ويوضِّحُها بالأمثلةِ وذكرِ الدَّلائلِ، ويقتصرُ على تصويرِ المسألةِ وتمثيلِها لمن لم يتأهَّلْ لفهمِ مأخذِها ودليلِها، ويذكرُ الأدلَّةَ والمأخذَ لمُحتمِلِهما، ويبيِّنُ له معانيَ أسرارِ حكمِها وعِلَلِها، وما يتعلَّقُ بتلك المسألةِ من فرعٍ وأصلٍ، ومِنْ وهمٍ فيها في حكمٍ وتخريجٍ ونقلٍ بعبارةٍ حسنةِ الأداءِ بعيدةٍ عن تنقيصِ أحدٍ من العلماءِ، ويقصدُ ببيانِ ذلك الوهمِ النَّصيحةَ وتعريفَ النُّقولِ الصحيحةِ، ويذكرُ ما يشابهُ تلك المسألةَ ويلتبسُ بها، وما يفارقُها، وما يقاربُها، ويبيِّنُ مأخذَ الحكمينِ والفرقَ بينَ المسألتينِ[٣].

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٥)
(٢) صحيح البخاري (١/١٦٠)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٥)

ولا يمتنعُ من ذكرِ لفظةٍ يُستحيا من ذكرِها عادةً إنِ احتيجَ إليها ولم يتمَّ التَّوضيحُ إلا بذكرِها، فإن كانتِ الكنايةُ تفيدُ معناها وتحصِّلُ مقتضاها تحصيلًا بيِّنًا لم يصرِّحْ بذكرِها بل يكتفِي بالكنايةِ عنها، وكذلك إذا كان في المجلِسِ من لا يليقُ ذكرُها بحضورِه لحياءٍ أو لخفاءٍ فيكنَى عن تلك اللَّفظِ بغيرِها، ولهذه المعانِي واختلاف الحالِ وردَ في الحديثِ التَّصريحُ تارةً والكنايةُ أخرَى(١).

وإذا فرغَ الشَّيخُ من شرحِ درسٍ فلا بأسَ بطرحِ مسائلَ تتعلَّقُ به على الطَّلبةِ يمتحنُ بها فهمَهم وضبطَهم لما شرحَ لهم، فمن ظهرَ له استحكامُ فهمِه بتكرارِ الإصابةِ في جوابٍ شَكَرَه، ومن لم يفهمْه تلطَّفَ في إعادتِه له، والمقصودُ بطرحِ المسائلِ أنَّ الطالبَ ربَّما استحيَا من قولِه: «لم أفهمْ»؛ إما لرفعِ كلفةِ الإعادةِ على الشَّيخِ أو لضيقِ الوقتِ أو لحياءٍ منَ الحاضرينَ أو لئلا تتأخَّرَ قرائتُهم بسببِه(٢).

ولذلك قيل: لا ينبغِي للشَّيخِ أن يقولَ للطَّالبِ: «هلْ فهمْتَ؟» إلَّا إذا أمِنَ من قولِه: «نعم» قبلَ أن يفهمَ، فإن لم يأمنْ من ذلك لحياءٍ أو لغيرِه فلا يسألُه عن فهمِه، لأنَّه ربَّما يوقعُه في الكذبِ بقولِه: «نعم» لِمَا قدَّمْناه منَ الأسبابِ، بل يطرحُ عليه المسائلَ كما

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٥-٧٦)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٦)

ذكرْناه، فإن سأله الشَّيخُ عن فهمِه فقال: «نعم»، فلا يطرحْ عليه المسائلَ بعد ذلك، إلا أن يستدعيَ الطَّالبُ ذلك لاحتمالِه خجلِه بظهورِ خلافِ ما أجابَ به[١].

وينبغِي للشَّيخِ أن يأمرَ الطَّلبةَ بالموافقةِ في الدَّرسِ كما سيأتِي إن شاءَ اللهُ تَعَالَى، وبإعادةِ الشَّرحِ بعدَ فراغِه فيما بينَهم ليثبتَ في أذهانِهم ويرسخُ في أفهامِهم ولأنَّه يحثُهم على أشغالِ الفكرِ ومؤاخذةِ النَّفسِ بطلبِ التَّحقيقِ[٢].

والسَّادسُ: أن يطلبَ من الطَّلبةِ في بعضِ الأوقاتِ إعادةَ المحفوظاتِ، ويمتحنَ ضبطَهم لما قدَّمَ لهم منَ القواعدِ المبهمةِ والمسائلِ الغريبةِ، ويختبرَهم بمسائلَ تنبنِي على أصلٍ قرَّرَه أو دليلٍ ذكَرَه، فمن رآه مصيبًا في الجوابِ ولم يخَفْ عليه مفسدةَ الإعجابِ شكَرَه وأثنَى عليه بينَ أصحابِه؛ ليبعثَه وإيَّاهم على الاجتهادِ في طلبِ الازديادِ[٣].

ومن رآه مقصِّرًا ولم يخفْ نفورَه عنَّفه على قصورِه وحرَّضه على علوِّ الهمَّةِ ونيلِ المنزلةِ في طلبِ العلمِ، لا سيَّما إن كان ممن يزيدُه التَّعنيفُ نشاطًا والشَّكرُ انبساطًا، ويعيدُ ما يقتضِي الحالُ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٦)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٧)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٧)

إعادتَه ليفهمَه الطالبُ[(١)].

والسَّابعُ: إنَّه إذا سلَك الطَّالبُ في التَّحصيلِ فوقَ ما يقتضِيه حالُه أو ما يحتملُه طاقتُه وخافَ الشَّيخُ ضجرَه أوصاه بالرِّفقِ بنفسِه وذكَّره بقولِه ﷺ: «إِنَّ الْمُنْبِتَّ[(٢)] لاَ أَرْضًا قَطَعَ، وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى»[(٣)]، ويحمِلُه على الأناةِ والاقتصادِ في الاجتهادِ[(٤)].

وإذا ظهَر منه نوعُ سئآمةٍ أو ضجرٍ أو مبادِي ذلك أمَرَه بالرَّاحةِ وتخفيفِ الاشتغالِ، ولا يشيرُ على الطَّالبِ بتعلُّمِ ما لا يحتملُه فهمُه أو سِنُّه ولا بكتابةٍ ما ينفِّرُ ذهنَه عن فهمِه، وإن استشارَه مَنْ لا يعرفُ حالَه في الفهمِ والحفظِ في قراءةِ فنٍّ أو كتابٍ لم يشرْ عليه بشيءٍ حتَّى يجرِّبَ ذهنَه ويعلمَ حالَه[(٥)].

فإن لم يحتملِ الحالُ التَّأخيرَ أشار عليه بكتابٍ سهلٍ من الفنِّ المطلوبِ، فإن رأى ذهنَه قابلًا وفهمَه جيِّدًا نقَله إلى كتابٍ يليقُ بذهنِه، وإلَّا ترَكه، وذلك لأنَّ نقلَ الطَّالبِ إلى ما يدلُّ نقلُه إليه على جودةِ ذهنِه يزيدُ انبساطَه، وإلى ما يدلُّ على قصورِه يقلِّلُ نشاطَه،

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٧)

(٢) في «شرح القاموس»: والمنبت في الحديث الذي أتعب دابته حتى أعطب ظهره فبقى منقطعا. ويقال للرجل إذا انقطع في سفره وعطبت راحلته صار منبتا. إهـ

(٣) أخرجه البزار فس مسنده والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٧)

(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٨)

ولا يمكنُ الطَّالبَ منَ الاشتغالِ في فنَّينِ أو أكثرَ إذا لم يضبِطْ بهما، بل يقدِّمُ الأهمَّ فالأهمَّ، وإذا علِمَ أو غلَب على ذهنِه أنَّه لا يفلِحُ في فَنٍّ أشار عليه بتركِه والانتقالِ إلى غيرِه ممَّا يرجَى فيه فلاحُه[1].

والثَّامنُ: أن لا يظهرَ للطَّلبةِ تفضيلُ بعضِهم على بعضٍ عنده في مودَّةٍ واعتناءٍ مع تساوِيهم في الصِّفاتِ من سنٍّ أو فضيلةٍ أو تحصيلٍ أو ديانةٍ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يوحشُ الصَّدرَ وينفِّرُ القلبَ، وإن كان بعضُهم أكثرَ تحصيلًا أو أشدَّ اجتهادًا وأحسنَ أدبًا فأظهِرْ إكرامَه وتفضيلَه وبيِّنْ أنَّ زيادةَ إكرامِه لتلك الأسبابِ فلا بأسَ بذلك، لأنه ينشطُ ويبعثُ على الاتِّصافِ بتلك الصِّفاتِ[2].

وكذلك لا يقدِّمُ أحدًا في نوبةِ غيرِه أو يؤخِّرُه عن نوبتِه إلَّا إذا رأَى في ذلك مصلحةً تزيدُ على مراعاةِ مصلحةِ النَّوبةِ، فإن سمحَ بعضُهم لغيرِه في نوبتِه فلا بأسَ[3].

والتَّاسعُ: أن يتودَّدَ لحاضرِهم ويذكرَ غائبَهم بخيرٍ وحسنِ ثناءٍ، وأن يعلمَ أسماءَهم وأنسابَهم ومواطنَهم وأصولَهم ويكثرُ لهم الدُّعاءَ بالصَّلاحِ، وأن يراقبَ أحوالَ الطَّلبةِ في آدابِهم وتهذيبِهم وأخلاقِهم باطنًا وظاهرًا، فمن ظهَر منه مِن ذلك ما لا يليقُ من ارتكابِ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٨)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٧٩)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٠)

محرَّمٍ، أو مكروهٍ، أو ما يؤدِي إلى فسادِ حالٍ، أو تركِ اشتغالٍ، وإساءةِ أدبٍ في حقِّ الشَّيخِ أو غيرِه، أو كثرةِ كلامٍ لغيرِ فائدةٍ، أو معاشرةِ مَن لا يليقُ عشرتُه، أو غيرِ ذلك عرَّض الشَّيخُ بالنَّهي عن ذلك بحضورِ مَنْ صدَر منه ذلك معرِّضًا به لا معيِّنًا له[١].

فإن لم ينتهِ به نهاه عن ذلك سرًّا أو يكتفِي بالإشارةِ مع من يكتفِي بها، فإن لم ينتهِ نهاه عن ذلك جهرًا أو يغلِّظُ القولَ عليه إن أفشاه لينزجرَ هو وغيرُه ويتأدَّبَ به كلُّ سامعٍ، فإن لم ينتهِ به فلا بأسَ بطردِه والإعراضِ عنه إلى أن ينزجرَ ويرجعَ، ولا سيَّما إذا خافَ على بعضِ رفقائِه وأصحابِه من الطَّلبةِ موافقتَه[٢].

والعاشرُ: أن يتعاهدَ الشَّيخُ أيضًا ما يعاملُ به بعضُهم بعضًا من إفشاءِ السَّلامِ وحسنِ التَّخاطُبِ في الكلامِ والتَّحابُبِ والتَّعاونِ على البرِّ والتَّقوَى وعلى ما هُمْ بصددِه، وبالجملة فكما يعلِّمُهم مصالحَ دينِهم لمعاملة الله سبحانه وتعالى يعلِّمُهم مصالحَ دنياهم لمعاملةِ النَّاسِ لتكملَ لهم فضيلةُ الحالتينِ[٣].

والحادِي عشرَ: أن يسعَى العالمُ في مصالحِ الطَّلبةِ وجمعِ قلوبِهم ومساعدتِهم بما تيسَّرَ عليه من جاهٍ ومالٍ عند قدرتِه على

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٠)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٩٠)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨١)

ذلك وعدمِ ضرورتِه، فإنَّ اللهَ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه، ومن كانَ في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومن يسَّرَ على معسرٍ يسَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ عليه حسابَه يومَ القيامةِ، ولا سيَّما إذا كان ذلك إعانةً على طلبِ العلمِ(١).

والثَّانِي عشرَ: إذا غابَ بعضُ الطَّلبةِ أو ملازِمي الحلقةِ زائدًا عنِ العادةِ سأَل عنه وعن أحوالِه وعمَّن يتعلَّقُ به، فإن لم يخبِرْ عنه بشيءٍ أرسلَ إليه أو قصدَ منزلَه بنفسِه وهو أفضلُ، وإن كان مريضًا عاده، وإن كان في غمٍّ خفضَ عليه، وإن كان مسافرًا يتفقَّدُ أهلَه ومن يتعلَّقُ به، ويسألُ عنهم ويتعرَّضُ لحوائجِهم ويصلُهم بما أمكنَ ولو بالدُّعاءِ(٢).

واعلمْ أنَّ الطَّالبَ الصَّالحَ أعودُ على العالمِ لخيرَي الدُّنيا والآخرةِ من أغنَى النَّاسِ وأقربِ أهلِه إليه، ولذلكَ كان علماءُ السَّلفِ النَّاصحونَ للهِ ودينِه يُلقونَ شبكَ الاجتهادِ لصيدِ طالبٍ ينتفعُ النَّاسُ به في حياتِهم ومن بعدهم، ولو لم يكنْ للعالمِ إلا طالبٌ واحدٌ ينتفعُ النَّاسُ بعلمهِ وعملِه وزهدِه وإرشادِه لكفَى ذلك الطَّالبُ عند اللهِ تَعَالَىٰ، فإنَّه لا ينتقلُ شيءٌ من علمِ أحدٍ إلى أحدٍ ينتفعُ به

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨١)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨١)

إلا كان له نصيبٌ من الأجرِ[(١)]؛

كما جاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ عن النَّبيِّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»، وهذه المعانِي الثَّلاثةُ موجودةٌ في معلِّمِ العلمِ.

أمَّا الصَّدقةُ فإقراؤه العلمَ وإفادتُه إيَّاه، ألَا ترى قولَه ﷺ في المصلِّي وحدَه: «مَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَى هَذَا» أي بالصَّلاةِ معَه ليحصُلَ له فضيلةُ الجماعةِ، ومعلِّمُ العلمِ يحصِّلُ للطالبِ فضيلةَ العلمِ الَّتي هي أفضلُ من الصَّلاةِ في جماعةٍ وينالُ بها شرفَ الدُّنيا والآخرةِ[(٢)].

وأمَّا العلمُ المنتفعُ به فظاهرٌ لأنَّ المعلمَ كان سببًا لإيصالِ ذلك العلمِ إلى كلِّ مَنْ ينتفعُ به.

وأمَّا الدُّعاءُ الصالحُ فالمعتادُ المستقرُّ على ألسنةِ أهلِ العلمِ والحديثِ قاطبةً منَ الدُّعاءِ لمشايخِهم[(٣)].

والثَّالثَ عشرَ: أن يتواضعَ مع الطَّالبِ وكلِّ مسترشدٍ سائلٍ إذا قام بما يجبُ عليه من حقوقِ اللهِ تَعَالَىٰ وحقوقِه ويخفِضُ له جناحَه ويلينُ له جانبَه[(٤)]، قال اللهُ تَعَالَىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥]. وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨١)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٢)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٢)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٢)

اللهَ أَوْحَى إِلَى أَنْ تَوَاضَعُوْا»(١)، «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ»(٢).

والرَّابعَ عشرَ: أن يخاطبَ كلًّا من الطَّلبةِ؛ لا سيَّما الفاضلَ بما فيه تعظيمُه وتوقيرُه، ويناديَه بأحبِّ الأسماءِ إليه، وأنْ يرحِّبَ بالطَّلبةِ إذا لقيَهم وعندَ إقبالِهم عليه، ويكرمَهم إذا جلسُوا إليه، ويؤنِّسَهم بسؤالِه عن أحوالِهم وأحوالِ مَنْ يتعلَّقُ بهم بعد ردِّ سلامِهم، ويقابلَهم بطلاقةِ الوجهِ وظهورِ البشرِ وحسنِ المودةِ وإظهارِ الشَّفقةِ، ويزيدَ في ذلك لمن يرجَى فلاحُه ويظهرُ صلاحُه(٣).

وبالجملةِ فهُمْ وصيةُ رسولِ اللهِ ﷺ فيما رواه أبو سعيدٍ الخدريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عنه ﷺ قال: «إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ، وَإِنَّ رِجَالًا يَأْتُوْنَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَتَفَقَّهُوْنَ فِي الدِّيْنِ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوْا بِهِمْ خَيْرًا»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) وابن ماجه (٤١٧٩) من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (٨٣-٨٤)

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٤٩)

الباب الثامن

في الآدابِ معَ الكتبِ الَّتي هي آلةُ العلمِ

وما يتعلَّقُ بتحصيلِها ووضعِها وكتابتِها

وفيه خمسةُ أنواعٍ من الآدابِ:

الأوَّلُ: ينبغِي لطالبِ العلمِ أن يعتنيَ بتحصيلِ الكتبِ المحتاجِ إليها بما أمكنَه بشراءٍ، وإلا فإجارةٍ أو عاريةٍ؛ لأنَّها آلةٌ في تحصيلِ العلمِ، ولا يجعلَ تحصيلَها وكثرتَها حظَّه منَ العلمِ وجمعَها نصيبَه منَ الفهمِ كما يفعلُه كثيرٌ من طلبةِ هذا الزَّمانِ[1].

وما أحسنَ قولَ بعضِهم: {المتقارب}

إِذَا لَـمْ تَـكُـنْ حَـافِـظًا وَاعِـيًا   فَـجَـمْـعُـكَ لِـلْـكُـتْـبِ لَا يَنْفَعُ
أَتَـنْـطِـقُ بِالْجَهْلِ فِـي مَجْلِسٍ   وَعِلْمُكَ فِـي الْبَيْتِ مُسْتَوْدَعُ

وإذا أمكنَ تحصيلُها بشراءٍ لم يشتغلْ بنسخِها، ولا ينبغِي أن يشتغلَ بداومِ النَّسخِ إلا فيما يتعذَّرُ تحصيلُه لعدمِ ثمنِه أو أجرةِ استنساخِه، ولا يهتمُّ بالمبالغةِ في تحسينِ الخطِّ وإنَّما يهتمُّ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٦)

بتصحيحِه، ولا يستعيرُ كتابًا مع إمكانِ شرائِه أو إجارتِه[١].

الثَّاني: يستحبُّ إعارةُ الكتابِ لمن لا ضررَ عليه فيها ممن لا ضررَ منه فيها، وينبغِي للمستعيرِ أن يشكرَ للمعيرِ ذلكَ، ولا يطيلَ مقامَه عندَه من غيرِ حاجةٍ، بل يردُّه عاجلًا إذا قضى حاجتَه منه،

ولا يجوزُ أن يصلحَه بغيرِ إذنِ صاحبِه، ولا يحشِّيه، ولا يكتبُ شيئًا في بياضِ فواتحِه ولا خواتمِه إلَّا إذا علمَ رضا صاحبِه، ولا يسوِّدُه، ولا يعيرُه غيرَه، ولا يودعُه لغيرِ ضرورةٍ، ولا ينسخُ منه بغيرِ إذنِ صاحبِه، وإذا نسخَ منه بإذنِ صاحبِه فلا يكتبُ منه والقرطاسُ في بطنِه أو على كتابتِه، ولا يضعُ المحبرةَ عليه[٢].

الثَّالثُ: إذا نسخَ من كتابٍ أو طالعَه فلا يضعُه على الأرضِ مفروشًا، بل يجعلُه بينَ كتابينِ أو شيئينِ أو كراسيِّ الكتبِ المعروفةِ؛ كيلَا يسرعَ تقطيعَ حبكِه، وإذا وضعَها في مكانٍ مصفوفةٍ فلتكنْ على كراسي أو تحتَها خشبٌ أو نحوُه، ولا يضعُها على الأرضِ كيلا تتندَّى أو تبلَى، وإذا وضعَها على خشبٍ أو نحوِه جعلَ فوقَها وتحتَها مَا يصونُها عمَّا يصادمُها من حائطٍ أو غيرِه[٣].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٦)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٧)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٧-١٢٨)

ويراعِي الآدابَ في وضعِ الكتبِ باعتبارِ علومِها وشرفِها أو مصنِّفِيها وجلالتِهم، فيضعُ الأشرفَ على الكلِّ، ثم يراعِي التَّدريجَ، فإن كان فيها مصحفٌ جعلَه على الكلِّ، والأولى أن يكونَ في خريطةٍ ذاتِ عروةٍ في مسمارٍ أو وتدٍ طاهرٍ نظيفٍ في صدرِ المجلسِ ثم كتبَ الحديثِ الصِّرفِ ثم تفسيرَ القرآنِ ثم تفسيرَ الحديثِ ثم أصولَ الدِّينِ ثم أصولَ الفقهِ ثم كتبَ الفقهِ ثم النَّحوَ ثم الصَّرفَ ثم أشعارَ العربِ ثم العروضَ(١).

وينبغي أن يكتبَ اسمَ الكتابِ عليه في جانبٍ آخرِ الصَّفحاتِ من أسفلَ، ويجعلَ رأسَ حروفِ هذه الترجمةِ إلى الحاشيةِ الَّتي فيها البسملةُ، وفائدةُ هذه الترجمةِ معرفةُ الكتابِ وتيسيرُ إخراجِه من بينِ الكتبِ(٢).

وإذا وضعَ الكتابَ فلتكنِ الحاشيةُ الَّتي من جهَةِ البسملةِ، وأوَّلُ الكتابِ إلى فوق، ولا يضعُ ذواتِ القطعِ الكبيرِ فوقَ ذواتِ القطعِ الصَّغيرِ، ولا يجعل الكتابَ خزانةَ الكراريسِ أو غيرِها، ولا يتَّخذُه مخدَّةً ولا مروحةً، ولا يعلمُ بعودٍ أو شيءٍ جافٍّ بل بورقٍ، ولا يطوي حاشيةَ الورقةِ أو زاويتِها(٣).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٨)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٩)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٩)

الرَّابعُ: إذا استعارَ كتابًا أو اشتراه تفقَّدَ أولَه، وآخرَه، ووسطَه، وترتيبَ أبوابِه، وكراريسِه، وتصفَّحَ أوراقَه(١).

الخامسُ: إذا نسخَ شيئًا من كتبِ العلومِ الشَّرعيَّةِ، فينبغِي أن يكونَ على طهارةٍ مستقبلَ القبلةِ طاهرَ البدنِ والثِّيابِ بحبرٍ طاهرٍ(٢).

ويبتدئ كلَّ كتابٍ بكتابةِ «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ»، فإنْ كانَ الكتابُ مبدوءًا بخطبةٍ تتضمَّنُ: حمدَ اللهِ تَعَالَى والصَّلاةَ والسَّلامَ على رسولِه كتبَها بعدَ البسملةِ، وكذلك يفعلُ في آخرِ الكتابِ وآخرِ كلِّ جزءٍ منه(٣).

وبعدَ ما يكتبُ آخرَ الجزءِ الأوَّلِ أو الثَّانِي مثلًا، يكتبُ «ويتلُوه كذَا وكذَا» إن لم يكملْ الكتابُ، ويكتبُ إذا كملَ «تمَّ الكتابُ الفلانيُّ»، وفي ذلك فوائدُ كثيرةٌ(٤). ويكرهُ في مثلِ «عبدِ اللهِ» و«عبدِ الرَّحمنِ بنِ فلانٍ» وكلِّ اسمٍ مضافٍ إلى اللهِ كتابةُ «عبدِ» آخرَ السَّطرِ واسمِ اللهِ معَ «ابنِ فلانٍ» أوَّلَ الآخرِ، بل أوجبَ بعضُ العلماءِ اجتنابَ ذلك، وكذا يكرهُ في «رسول اللهِ» أن يكتبَ «رسول» آخرَه و«اللهِ» أوَّلَه(٥).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٢٩)
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٣٠)
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٣٠)
(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٣٠)
(٥) تدريب الراوي (٤٣)، فتح المغيث (٣/٦٢)

وكذا كلُّ ما أشبهَ ذلك من الموهماتِ المستبشعاتِ كأن يكتبَ «قاتل» من قولِه «قاتل ابن صفيةَ في النَّارِ» في آخرِ السَّطرِ و«ابن صفيةَ في النَّارِ» في أوَّلِه، أو يكتبَ «فقال» من قولِه في حديثِ «شاربُ الخمرِ فقال عمرُ: أخزاه اللهُ» آخرَه و«عمر» وما بعده أوَّلَه، ولا يكرهُ فصلُ المتضايفينِ إذا لم يكنْ مثلَ ذلك كـ«سبحانَ اللهِ» ولكن جمعُهما في سطرٍ أولَى(١).

وكلما كتب اسم الله تَعَالَىٰ اتبعه بالتعظيم مثل: «تَعَالَىٰ» أو «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ» أو «عَزَّ وَجَلَّ» أو «تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ» أو «جل ذكره» أو «تبارك اسمه» أو «جلت عظمته» أو ما أشبه ذلك(٢).

وكلَّما كتبَ اسمَ النَّبيِّ ﷺ كتبَ بعدَه الصَّلاةَ والسَّلامَ عليه، وجرتْ عادةُ السَّلفِ والخلفِ بكتابةِ «صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ»، ولعلَّ ذلك لقصدِ موافقةِ الأمرِ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ولا يختصرُ الصَّلاةَ في الكتابةِ ولو وقعتِ الصَّلاةُ مرارًا، كما يفعلُ بعضُ المحرومينَ، فيكتبُ «صلعم» أو «ص م» وكلُّ ذلك غيرُ لائقٍ بحقِّه ﷺ(٣).

وإذا مرَّ بذكرِ الصَّحابيِّ كتبَ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» فإن كان صحابيًّا ابنَ

---

(١) تدريب الراوي (٤٣)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٣٠)، المنهاج شرح مسلم (٣٩)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٣٠)

صحابيّ كتب « رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا »، وكلَّما مرَّ بذكرِ أحدٍ من السَّلفِ الأخيارِ والعلماءِ الأبرارِ فعلَ ذلك أو كتبَ «رَحِمَهُٱللَّهُعَلَيْهِ»، ولا سيَّما الأئمةَ الأعلامَ وهداةَ الإسلامِ، ويكتبُ كلَّ هذا وإن لم يكنْ مكتوبًا في الأصل الَّذي ينقلُ منه، فإنَّ هذا ليسَ روايةً وإنَّما هو دعاءٌ(١).

وينبغِي للقارئِ أن يقرأَ كلَّ ما ذكرَ وإن لم يكنْ مذكورًا في الأصلِ الَّذي يقرأُ منه، ولا يسأمُ من تكرُّرِ ذلك؛ فإنَّ في هذا خيرًا عظيمًا وفضلًا جسيمًا(٢).

تمَّ الكتابُ الموسومُ بـ«آدابِ العالمِ والتَّعلُّمِ»، ووافقَ الفرغُ من جمعِه صبيحةَ يومِ الأحدِ اثنينِ وعشرينَ جمادي الثَّانيةِ سنةَ ألفٍ وثلثِمائةٍ وثلاثٍ وأربعينَ من هجرةِ سيِّدِ المرسلينَ سيِّدِنا محمدٍ ﷺ وعلى آله وصحبِه أجمعينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، واللهُ سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أعلمُ بالصَّوابِ، وإليه المرجعُ والمآبُ.

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (١٣١)، المقدمة (١٤)

(٢) المقدمة (١٤)، المنهاج شرح مسلم (٣٩)

محتويات